



الخاص بمصر

عباس محمود العفاد



نَهْدَتْ مِصْرَ
للطباعة والنشر والتوزيع

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٧٨

www.nahdetmisr.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ديوان أعاصير مغرب .
عباس محمود العقاد .
داليا محمد إبراهيم .
أغسطس 2003 م .
2003/ 13054
ISBN 977-14-2334-7

21 ش أحمد عرابي، المهندسين، الجيزة .
ت: 3466434 (02) - 3472864 (02) فاكس: 3462576 (02) ص.ب: 21 إمبابة .
Publishing@nahdetmisr.com

80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر .
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02) .
Press@nahdetmisr.com

18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة .
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)
ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة .
الرقم المجاني: 08002226222
Sales @nahdetmisr.com

408 - طريق الحرية (رشدي)
47 ش - عبد السلام عارف
Tel : (03) 5230569
Tel : (050) 2259675

كافة إصدارات شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
تجدونها على موقع الشركة بالعنوان التالي
www.nahdetmisr.com الرقم المجاني 07775666

بيانات الكتاب:

اسم الكتاب
اسم المؤلف
إشراف عام
تاريخ النشر
رقم الإيداع
التقييم الدولي

بيانات الناشر:

الإدارة العامة للنشر
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر

بيانات المطابع:

المطابع
البريد الإلكتروني للمطابع

بيانات مراكز التوزيع:

مركز التوزيع الرئيسي
مركز خدمة العملاء
البريد الإلكتروني لإدارة البيع
مركز التوزيع بالإسكندرية
مركز التوزيع بالمتنصرة

موقع الشركة على الإنترنت

الإهداء

إيه يا من أوحى الشعر وخانت شاعره
لك أهديه لَوْحِيكَ

إيه يا من ليس يوحيه ويمسى ذاكرة
لك أهديه لرعيك

هكذا أبرأ في الحالين من حمد خيانة
وأصون العهد ممن رام شعري بصيانة
وأدارى حيرتى خافية أو ظاهرة !

المقدمة

فى اسم الديوان

شاعرٌ نرجع إليه كما نرجع إلى الصديق الذى نأنس به
ونستطيب الكلام والصمت معه .

وشاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الكتاب الذى نستمتع به
ونحب القراءة فيه .

وبين الشاعرين فارق . فما هو ؟ أیكون الأول أصدق فى
الشاعرية وأجزل فى العبارة وأجود فى الصناعة وأجمل فى
الأسلوب ؟

قد يكون كذلك .

ولكنه كذلك قد لا يكون .

لأن الصديق الذى نأنس إليه ونستطيب الكلام والصمت معه
لا يلزم أن يكون خيراً من الغرب الذى لم نعرفه ولم نأنس إليه .
فقد يكون بين الغرباء من هو أفضل من أصدقائنا خلقاً وأجمل
سمتاً وأطيب سيرة . وإنما يحبب الصديق إلینا أنه یشاركنا فى
الشعور ويعیش معنا فى عالم نفسانى واحد ، وتلك بعینها هى
مزية الشاعر الصديق على الشاعر الذى نقرأه ولا نشعر له بصداقة .
فهو ينظر إلى الدنيا كما ننظر إليها ويحس بها كما نحس بها ، وإن
لم یكن كذلك واختلفت بیننا وبينه وجهة النظر ومذاهب التفكير
فلعله مع هذا أقرب إلى تعزيتنا والنفاذ إلى ضمائرنا من شعراء

آخرين لا يبشون فى نفوسنا العزاء ولا يعرفون إلى ضمائرنا طريق
نفاذ . أما الشاعر الذى نقرؤه ولا نصادقه فقد يجيد ويفضل غيره
فى الإجادة ولكنه غريب نلقاه كما نلقى كل غريب .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة
العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوروبية ليوباردى ، وهنريك هينى ، وتوماس
هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين والمعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم
الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«أنظرُ إلى المرأة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى
الله مبتهلاً إليه : أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلباً يذبل مثل
هذا الذبول !

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا أكم ولا أحزن ،
وإننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن
وسمت وقور .

غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا
يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف
هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة
واضطراب .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته
لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ
للأعاصير .

أعاصير مغرب ، اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . . لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولاً فى القلب كذبول إهابه .

ورأى فى الغزل الذى نظمه هاردى بين السبعين والثمانين ليس بالرأى الحديث ، فلم أعجب به اليوم لأننى صاحب ديوان بعد «وحى الأربعين» . . . بل أعجبت به لأننى كنت أرى فى زمن الفتوة أن الشعور والتعبير لا ينتهيان بانتهاء الشباب ، ومتى بقى الشعور والتعبير فما الذى فنى من مادة الغزل والغناء ؟ .

واتفق منذ بضع عشرة سنة أننى كتبت فى هذا المعنى^(١) وأن كتابتى فيه كانت بصدد الكلام عن هاردى الذى أوحى إلىّ اليوم اسم ديوانى الجديد . فأثنت على غزله أجمل ثناء ، وقلت أجيب الأديب الأستاذ سيد قطب الذى استغرب إجادة هاردى شعر الغزل فى السبعين من عمره : «إن المسألة بعد ليست مسألة نظريات يرجع فيها إلى تباين الآراء والأذواق ، وإنما هى مسألة حقيقة لا ريب فيها ولا اختلاف عليها . إذ كل ما يجب علينا لنقول إن الشيخوخة تجيد الغزل أحياناً . . . هو أن نعلم أن توماس هاردى نظم شعر الغزل بعد السبعين وأن ما نظمه بعد تلك السن كان جيداً مقبولاً رضى عنه قراء الشعر واستزادوه ، وأنه كان هو من أسباب تلك الشهرة الذائعة التى أحرزها فى عالم الشعر بين قراء

(١) البلاغ الأسبوعى ٩ مارس سنة ١٩٢٨ .

الأدب الرفيع بعد اشتهاره بالرواية وحدها فى سن الشباب . فهل نظم توماس هاردى غزلاً جيداً بعد السبعين؟ ! نعم . . . وإذا كانت نعم هى الجواب الذى لا بد منه فلا حيلة للنظريات ولا لتعريفات الشباب والحب والغزل فى نفى هذه الحقيقة المقررة . . . » .

ثم قلت : «على أننا لو فرضنا أن توماس هاردى لم يُخلَق فى هذه الدنيا ولم يكن بين أيدينا هذا المثل القريب - ولا مثل غيره من الشعراء الشيوخ الذين ساهموا فى المعانى الغزلية وبلغوا فيها بعض الإجادة أو كلها - فهل تمنعنا النظريات ومراقبة الظواهر النفسية أن ننتظر المعانى الغزلية بعد انقضاء الشباب؟ أما نحن فنقول : لا ؛ لأن الحب شئ والغزل شئ غيره ، وإن كان الحب هو موضوع الغزل والمعنى الذى يدور عليه » .

«فالحب» عاطفة شائعة بين الناس ، بل شائعة بين من ينطق وما لا ينطق . ولسنا نعنى الصلة الجسدية التى تنقضى بانقضاء دوافع الفطرة فإن هذه لا تسمى حباً ولا هى من العلاقات القائمة بين فرد بعينه وفرد آخر بعينه ، لأنها فوضى مشتركة بين جميع الذكور وجميع الإناث من فصيلة واحدة .

«ولكننا نعنى الصلة النفسية التى تجمع الفردين معاً بعلاقة لا يغنى فيها أى فرد آخر من الفصيلة . وقد ثبت للباحثين فى طبائع الأحياء أن بعض الطيور والحيوانات تتزاوج مدى الحياة وينتقل الذكر والأنثى منها آلاف الفراسخ بين أوروبا وأفريقية ثم يعودان من تلك الرحلة إلى حيث كانا سنة بعد سنة حتى يموت أحدهما أو يعتاقه عائق لا قدرة له عليه .

فالحب على هذا لا يستلزم الغزل لا فى الإنسان ولا فى غيره من الأحياء ، وإذا قلنا : إن لكل حى غزله الذى ينطق بما فى نفسه فليس يسعنا أن نقول : إن كل محب شاعر ، وإن كل متغزل فنصيبه من الحب مثل نصيبه من الغزل على السواء .

«إن الذين يقتلون أنفسهم حباً من غير الشعراء الغزليين أكثر جداً من الذين يبلغون فى الحب هذا المبلغ بين أولئك الشعراء . فلا ريب أن الشاعر لا يحسن الغزل بغير حب ، ولكن لا ريب كذلك فى أن الحب قد يعلو حين يهبط الغزل ، وأن الغزل قد يعلو حين يهبط الحب ، على درجات لا تناسب بينها فى العلو والهبوط .»

«... والشباب هو سن احتدام الشعور وهجوم الحياة ، ولكن أى شباب وأى شعور ؟ فقد يقضى الفتى أوائل شبابه ولا معنى للحب عنده إلا أنه «وظيفة فزيولوجية» مبهمة يساق إليها بغير هداية ولا تمييز . وقد يطلب الشريك فى الحب وهو لا يعلم ما الذى يطلبه فيه وما الذى يأخذه منه وما الذى يعطيه ؟ لأن الحب عنده هو جوعة جسدية أو نفسية يشبعها أى شريك يصادفه ويلفيه على مثل حاله من الرغبة والاشتياق . وقد يكون احتدام شوقه ناقصاً من حبه ، كما أن احتدام الجوع فى الجائع يغنيه بكل طعام حاضر ، ويجعل الأكل هو المقصود لذاته ، لا الصنف ولا الطعم الذى يميز ذلك الصنف من سواه .»

«والحب على أتمه وأعمه وأقواه هو تفاهم بين نفسين وامتزاج بين قلبين وجسدين ، وقبل أن يفهم الإنسان نفسه كيف ينشد التفاهم مع نفس حبيبه ؟ وقبل أن ينكشف له قلبه كيف يعرف

مواضع الكشف والحجاب من القلوب ؟ وقبل أن يكمل بناء جسمه كيف تكمل فيه رغائب الأجسام ؟ وقبل أن يعرف النساء كيف يعرف المرأة ؟ بل قبل أن يزاول الحياة كيف يزاول لباب العاطفة التى تنضجها الحياة ؟ » .

«فليس الاحتدام هو الحب نفسه ، لأن هذا الاحتدام قد ينقص من الحب ، كما أن الحب قد يلهب الاحتدام فيمن لم يكن يعانيه» .

« . . . فللشباب حبه ، وللرجولة حبها ، وللكهولة بعد ذلك حب لا يشبه الحبين» .

« . . . وإذا تقضى الشباب وتقضت بعده الرجولة وتقضت بعدهما الكهولة فهل تنفذ مؤنة الغزل وهل تبطل دواعيه ؟ كلا ! فهناك الحنين والتذكار وكلاهما مؤنة للغزل لا تنفذ وداعية حاضرة فى كل حين . ولو سألنا الشعراء الذين عاجلوا النظم فى خوالج النفوس شيوخاً وشباناً لعلمنا منهم أن خير ما نظموه فى شوق أو حزن أو ألم أو خالجة نائرة أياً كان فحواها إنما كان كله من قبيل الحنين والتذكار . لأنهم ينظمون بعد فوات الثورة الداهمة واطمئنان اللوعة العارضة ، فيسلس لهم المعنى ويصفو الشعور من كدر الدخان والضرام» .

« . . . فلا عجب أن يجيد هاردى الغزل أو يجيده سواء من الشيوخ سواء أنظرنا إلى الحقيقة الواقعة التى لا ريب فيها أم نظرنا إلى المعهود من أطوار النفوس والقرائح . وقد يحسن أن نذكر بعد هذا أن إجادة هاردى فى الغزل لم تكن إجادة مطلقة يطمع فيها

كل شيخ ينظم القريض وتثبت له العبقرية ، ولكنها كانت إجابة هاردية عليها سمة الرجل وفيها طبيعة مزاجه التي لم تفارقه في شباب أو شيخوخة .

ومضت الأيام والسنون بعد كتابة هذا المقال فلم يكن فيما قرأت ولا فيما عرفت شيء يخالف ما بدا لي من هذا الرأي منذ نظرت في حقائق العاطفة والتعبير . وأحرى أن نعلم مع الزمن أن العاطفة ألزم للحياة الإنسانية وألصق بها وأعمق فيها من أن تحصرها فترة واحدة أو تحتويها صورة أو يختتمها عهد واحد . فهي - ككل شيء في الحياة - تزداد فهماً على طول المصاحبة وطول المراس والمساجلة ، وعلى حسب ازدياد الفهم يزداد التعبير ويزداد الاستكناه والتصوير . وبخاصة بين الذين يقضون حياتهم في عالم الشعور والجمال ، وهو عالم الفنون والآداب ، وهم الشعراء والموسيقيون والمصورون والممثلون .

ويصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى . أو هو العهد الذي تُفاجأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها به خبرة من قبل . فيشاهد عليها ما يشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك في حالة كحالة الشاب في أول عشقه : وجهٌ ساهم وفم مغفور ، وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونَفَس مطرود . . . وهذه هي الحالة التي يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره ، مع أنها أحرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تعهدها البنية ولم تألفها النفس فلم تزل بها حاجة إلى التثبت منها والرياضة عليها . ثم تأتي هذه الرياضة شيئاً فشيئاً مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور .

فى هذه الحالة - حالة المفاجأة - تتفتح النفس على عالم مسحور حافل بالصور والزخارف والأسرار ، وتجود القريحة بالمعنى البكر والخيال الطريف ، وتتسع للشاعر منادحُ للإحساس ولوصف الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين المجلّين . ولكن سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير فلا يمتنع عليه سبيل القول بامتناعه ، كالذى تسحره المدينة لأول نظرة فيصفها على التو والساعة فى الصورة المتوهجة التى أضفاها عليه سحرها . ثم يقيم فيها سنة وسنوات فلا يجهلها بعد معرفة ، ولا يعز عليه وصفها بعد قدرة . ولكنه يصفها غير مسحور ولا مبهور . فيخسر وصفه ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظرة وطول الخبرة وصدق المشاهدة ، كأنما تغيرت المدينة وهى لم تتغير بين النظرتين ، ولا أخطأ واصفها فى إحدى الحالتين .

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة ، فكيف يكون شأن العالم النفسانى الذى ليست له حدود ؟ وكيف يستنفد هذا العالم الرحيب فى نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى ؟ وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضيفاً يفارق الحياة بعد المصافحة الأولى ولا يعلم أنها هى صاحبة الدار ، وأنها هى الحياة ؟

فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفسانى حيثما تشاء على اختلاف الأوقات والأجواء ، وليست أعاصير المغارب بدعاً فى عالم الأكوان ولا فى عالم الإنسان .

وقد أشار على صاحبنا هاردى فأحسن المشورة فيما اخترت لتسمية هذا الديوان . فقد نظمته بين ثوائر الأفكار وثوائر الحروب

وثوائر الصدور ، فلو بحثت له عن عنوان أدل على ما فيه لانقطع
عنان الاختيار دون المراد .

سألنى صديق يرى أننى تشاءمت من حيث يتفاءل فقال : ولم
استعجلت المغرب وقد أجله صاحبك هاردى إلى ما بعد السبعين
بل الثمانين ؟

قلت : يا صديقى اقرأ أبيات بيرون إن شئت ولا تقرأ أبيات
هاردى إن لم تشأ . . . فإنما هى حالة تلم بالرجل فيما قبل الأربعين
كما تلم به فيما وراء السبعين .

وبيرون ماذا قال فى السادسة والثلاثين ؟ ماذا قال وهو فى نقطة
الحياة ومعتك النضال ؟

نظم تلك الأبيات التى سماها بعضهم «عيد ميلاد أخير»
فقال :

«أن لهذا القلب أن يسكن ، مذ عز عليه أن يحرك سواء ، ولكنى
وقد حُرمت من يَهْوَى إلى ، حسبى نصيباً من الحب أن أهوى .

إن أيامى لمكتوبة على الورقة الداوية . إن زهرات الحب وثماره
ذهبت إلى غير رجعة . إنما السوس والديدان وحسرة الأسى ، هى
لى . . . لى وحدها تحيا .

وهذه النار التى تأكل الحنايا ، كأنها جزيرة بركان فى عزلة قاصية
حممها لا توقد جذوة أخرى ، وإنما هى نار تبیت على سرير الردى .

وتلك الأشواق والأوجال والهموم الغيرى . ذلك الحظ المقسوم

من اللوعة العليا . تلك القدرة على الهيام والهوى . ليس لى منها
حصه تبقى ، فما لأغلالها فى عنقى لا تنزع ولا تبلى ؟» .



نظم بيرون هذه القصيدة فى عيد ميلاده السادس والثلاثين ،
ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذى لا حب بعده ولا
حياة ، ولكن هكذا كان على ما أراد - أو على غير ما أراد - فماذا
تغنى السنون القصصار أو السنون الطوال ؟ إنما هى حالات تلم
بالنفوس فى كل حين ، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان ،
والزمن وحده يصدقهما أو يكذبهما فيها يقولان .

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب فاذكر متفائلا أن
ساعات الغروب هنا بغير حساب . فمنذ سنين جمعت دواوينى
الشعرية فسميت الجزء الأول منها «يقظة الصباح» وسميت الجزء
الثانى «وهج الظهيرة» وسميت الثالث «أشباح الأصيل» وسميت
الرابع «أشجان الليل» . . . ثم ظهرت لى بعد ذاك الليل وأشجانه
ثلاثة دواوين هى : وحى الأربعين ، وهدي الكروان . وعابر سبيل ،
ثم ها نحن أولاء فى هذا المغرب وفى هذه الأعاصير . . . فهل
نحن راجعون ؟ وهل للشمس من «يوشع» يؤجل لها مواقيت
الغروب ؟ إن كان للشعر «يوشعه» فليس نصيب هاردى من مغربه
المديد أمنية أستهيها ، وليس نصيب بيرون فى ضحاه القاتم نعمة
أرتضيها ، وإن كانت الكلمة فى هذا للقضاء يفعل ما يشاء ، ويتبع
أسلوبه فى الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب .

عباس محمود العقاد

فى العالم يارب ... ويا خلق !

يارب !

يارب أعطيناك أرواحنا فى هذه الحرب وفى الماضىة
يا ربنا فاقض لنا مرةً بالسلم فى أيامنا الباقية

ياخلق !

يا خلق ما أرواحكم سمحةً عندى ، ولا إن سمحت كافية
أعطيتكم إبليس أضعافها من حيوات عندكم غالية
وبعتم فى سوقه كل ما وهبتكم من عيشة راضية
لم تشتروا السلم بأرواحكم بل اشتريتم نقمة ثانية
عطاؤكم إبليس سمحٌ بلا أجر ولا أمنية خافية
وما بذلتكم قط لى قربةً إلا رجاء العفو والعافية !

عباد الطغيان

كلكم . كلكم مع الغالب الظا لم لا تعدموا من الظلم رغما !
لو وقفتكم يوماً إلى جانب المغلو ب ما فاز غالبٌ قط ظلما

قريب قريب

عجبنا زمانا لهدى الحروب وما فى الحروب لَعَمْرى عجيب
أتعجب من أن قوما تموت ت ، ومن أن قوما قساة القلوب
وما قسوة الناس بدع ولا أرى موتهم بالجديد المريب
فهذى هى الحرب يا صاحبي كلا طرفيها قريب قريب

فصد !

قالوا : هى الحرب فصد به الشفاء يؤمل
قلنا : نعم . فصد عرق حى واعفاء دمل !

الخلود المزدرى

نفوس أعاف مقامى بها آأخلد فيها؟ لبئس الخلود !
وسجن أعاف وجودى به أليس كفيلا ببغض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبي خالد يك ، وقل من مذك لهم أو شهيد
فلا خير فى عيشهم سرمدا إذا سُرمدوا فى ضمير القروء
فرب خلود كقييد السجين ، ونسيان قوم كفك القيود

سوء توزيع

دنياك فيها جمال ورحمة وسرور
تلقى ولا تبتغيها وثبتغى فتجور^(١)
هذا هو الشر عندى ومنه تنمو شرور

بأس الطغاة

بأس الطغاة تقول ؟! مهلاً . عداك الذهول
هيهات يطغى ابن أنثى فى أمة أو يصول
ما لم يُعنه عليها جهل وحق دخیل
هما الأصیلان فاعلم وكل طاغ وكـیل
وما لطاغ سبیل لولا هما أو دلیل

الداء العالمی

أرثى له عالمًا شقيًا يقاد مستسلمًا زريًا
ومن هم القائدون ؟ .. رهط
من شرهم خسة وغيا
هذا هو الداء لا قتال
يطوى صفوف الجموع طيا

(١) جار عن الطريق : حاد عنه .

فالجهل يزرى بكل حى ولا تعيب المنون حيا

قلت للمريخ ^(١)

قلت للمريخ أعنله	وهو يذكى جمرة الغضب
ويك ! ما هذا الخراب ؟ وما	ذلك الإغراق فى العطب ؟
أثم تسطو على أم	ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على	عيلم ^(٢) للدمع منسكب
وقبور كظها تخما	جثث الهلكى من السغب ^(٣)

قال : مه يا صاح أين ترى	كل ما استهلوت وأعجبنى
أرضكم ما زلت أبصرها	نائيا حيناً وعن كشب ^(٤)
هين ما قد تبدل من	سمتها فى هذه الحقب

جزاء الله

جزى الله هتلر أوفى الجزاء	بما قد أجاد وما قد أساء
فما زال يقذف من حوله	مواظ يلقفها من يشاء
ألم نر كيف يكون الحقيير	حقيراً ويقضى بأيدي القضاء
وينهى ويأمر فى قومه	ويبرم فى أمرهم ما يشاء

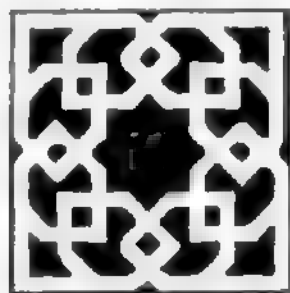
(١) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب .

(٢) بحر .

(٤) عن قرب .

(٣) الجوع

ويغزو الممالك في عالم	تُفدَّى ممالكه بالدماء
ويفتح باريس في وثبة	ويوصد لندن دون الهواء
فوالله ما الحرب في هولها	وفي كل ما خيبت من رجاء
بضائعة عبثاً لو درى	بنو آدم كيف يُزجى الثناء
فقد يضخم العمل المزدري	فيضخم ضعفين في الازدراء



فى النفس
هذا هو الحب !
غريزة تسأل : ما الحب ؟
بُنيتى ! هذا هو الحب !

الحب أن أبصر ما لا يرى أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغ الحق ما سرّنى فإن أبى ، فالكذب المفتري

الحب أن أسأل : ما بالهم لم يعشقوا المنظر والمخبرا ؟
ويسأل الخالون ما باله هام بها بُهراً وما فكرا ؟

الحب أن أفرق^(١) من غملة حيناً ، وقد أصرع ليث الشرى
وأن أرانى تارة مقبلاً وخطوتى تمشى بى القهقرى

الحب كالخمر فإن قيل لى سكرت ؟ هم القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائل نعم ، ولا أحفل أن أسكرا

الحب أن يفرق أعمارنا عهدان ، والعهد وثيق العرى
أحسبني الأكبر حتى إذا عانقتنى ألفيتنى الأصغرا

(١) أخاف .

الحب أن نصعد فوق الذرى والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا وأن نرى ألامننا أثرا

الحب أن أجمع فى لحظة جهنم الحمراء والكوثرا^(١)
واننى أخطئ فى لهفتى مَنْ منهما روى وَمَنْ سقرا

الحب أن يمضى عام وما هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علقت فى ساعةٍ حواشى الدفتر والأسطرا

بُنَيْتُ ! هذا هو الحبُ
فَهِمَّتْهُ ؟ كلا . ولا عَثْبُ !
مَسْأَلَةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدرىها ولا الكتب
حسبك منها ، لو شَفَتْ حسب ،
إشارة دق لها القلب

عمر زهرة

فريدة فى روضها أخيرة فى الموسم
عيشى وأهدى غيرها فى كل عيد ، واسلمى
أأنت مثلها علمت أو لم تعلمى
هدية الخلاق لى وقد رأى تنسمى ؟^(٢)

(٢) تتسم ، تلتطف فى طلب الخير أو الرائحة .

(١) الكوثر : نهر فى الجنة .

زهرك البيضاء هلاً تذكرين نشرها؟ (١)
حفظتها في خدرها هل برحت مقررها؟
حفظتها . حفظتها فهل حفظت سرها؟
قصصت منها عقدة لكى أطيل عمرها

من يحفظ الزهرة أسبوعاً إلى تمامه
قد يحفظ الحب إلى السابع من أعوامه
فانتظريه فى غد يسأل عن غرامه
ولا بمسه إلا لكى يزيد فى أيامه

وتسألين مالنا نقص منه يا ترى؟
نعم فكل حى ناقص ما عمراً
كم ساعة نبتورها تزيد فيه أشهراً
فلا يزال مشتهى ولا يزال أخضرأ

كوبيد يتسلل

نفذ النعاس فؤاده وصبا
ونفى السامة بعد ما بلغت
وجرى الذى ما كان يحسبه
فى توبة الخمسين يشغله
ويظل يسأله ، وإن وهبا ...
وصحا ، فمال ، فهام فاضطربا
منه المشاش (٢) ، وعارود اللعبا
يومًا يكون ، وطالما حسبا
وجه ، ويملاً صدره رغباً
ويبيت يسمعه ، وإن كذباً

(١) رانحتها .

(٢) رأس العظم .

ويعد منه الزور مآثرة
رجع الهوى . عجباً له ، عجباً !
لم أوله باباً ولا كنفاً
ناديته حيناً فراوغنى
بيناً أقول صدده حذراً
لذ يا بنى بمن يلاذ به
أو لا يريد بزوره سبباً ؟
لا طاغياً وافى ولا لجباً
عندى ، فكيف أطل واقترباً
فاليوم نادانى وما طلباً
طلع النهار إذا به انسرباً
ولك الحمى ، وما لم تهج غضباً

هذا الصفير على غرارته
وتراه فى العشرين مستبقاً
ويغيط من كيد وعريضة
متمرساً بالدهر مختبراً
سأضمه رفقا ، وأوسع
ويقيم لا أخشى كنانته (٣)
يدرى النفاق ويحسن الأدبا
وتراه فى الخمسين مصطحباً
فإذا أغيط شكاً أو انتحباً
خيم (١) القلوب محاذراً دربا
براً ، وأملك قلبه حدباً (٢)
... السهم أخطأ والحسام نبا

أكذاك أم هو خادعى أبداً
سيان . ما أنا حاذر لغد
حذرى أشد على من خدع
فى كل يقظة خائف هرم
حتى إذا أمن الحمى انقلباً ؟
أغلبته بالكيد أم غلبا
تشفى وتُسعد بالمنى نوباً
ومع الخديعة لذة وصباً

(١) الخيم : الطبيعة .

(٢) عطفاً .

(٣) قدماء اليونان يصورون الحب طفلاً يحمل كنانة يرمى بأسهمها من يلقاه .

مسرة واحدة

تم الكتاب وألقت باليراع^(١) يدي وضُمن الطرس إحساسى وإدراكى
مالى به غير مسرور ولا كلف ألا يسُرَّ يمينًا نبثها الزاكى
ضيّعتُ فيك مسراتى فما بقيت لى من مسرة شىء غير لقياك
لولا هواك لألهانى السرور به عن عالم ضاحك أو عالم باك

دنيا مقلوبة

صوت النذير^(٢) الذى أبقاك خائفة على ذراعى قولى كيف أخشاه؟
أو البشير الذى يدعوك ثانية إلى الطريق لعمري كيف أرضاه
الحب والحرب واويلا قد اجتمعا فى القلب فانقلبت أحوال دنياه!

الحب

ما الحب روح واحد فى جسدى معتنقين
الحب روحان معاً كلاهما فى الجسدين
ما انتهيا من فرقة أو رجعة طرفة عين

الطير المهاجر

علمتنى مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم
أترانى لا أسمع الطير إلا فى رياضى معششاً لا يريم^(٣) ؟
رب شاد فى هجرة يتغنى وعليه السلام والتسليم

(١) القلم .

(٢) النذير بالغارات .

(٣) يفارق .

من جنوب إلى شمال ، وحيناً
فله حين يستقل^(١) وداع
خذ من الطير كل يوم جديداً
كم مؤل وصفوه لا يؤلى
من شمال إلى جنوب يحوم
وله حين يقبل التكريم
فسواء جديده والقديم
ومقيم وصفوه لا يقيم

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك

هنا هنا عند قلبي يكاد يلمس حسي
وفيه منك دليل على المودة حسي

ألم أنل منك فكرة في كل شكة إبرة
وكل عقدة خيط وكل جرة بكرة !

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسير مطوق بحصارك !

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه : هل مر منه إلى طيف غريب ؟

(١) حين يبرح ويسافر .

نَسَجْتَهُ بِيَدِكَ عَلَى هَدًى نَظَرِيكَ
إِذَا احْتَوَانِي فَأِنِّى مَا زِلْتُ فِى إِصْبَعِيكَ

قولى مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

حديثك الممتع لى
من تغسرك المقبل
وأنت لى فى منزلى
وشيكاً أن تخجلى

من قبلة حَرَّى إلى لغو إلى ابتسامة
ولا تقولى عندها لا . لا . مع السلامة

حتى إلى القيامة

أما إذا مسرتنى (١)
نادتك يا حبيبتى
فاستمعنى تحيىتى
ثم «اسألى عن ليلتى»

(١) ترجمة حديثه لكلمة التليفون .

ثم اضحكى وسلسلى
ضحكتك النّفامة

فإن أطلت بعدها فهذه علامة
قولى مع السّلامة قولى مع السّلامة

الغيرة

إذا رابك القلب الذى لا تنوشه
فلا تحسبى أنى خلى من الهوى
ولكننى راض بما تظهريه
فلست إلى ما فات منك تراجع
مخالب من وسواسه أو نواجذ^(١)
ولا أننى سسال هواك فنابذ
وما أنا فى السر المغيب نافذ
ولا أنا مُعطٍ فوق ما أنا آخذ

هبة لا تنقل

تريدى قلبي؟ خذيه خذيه !...
دعيه إذا غبت عنى أرى
وسرّ أبوح به خلصة
أخاف على البعد أن تلعبى
فكم لعبة وقعت من يد
إذا ما لعبت به ها هنا
تريدى قلبي؟ خذيه خذيه
رويدك . لا . بل دعيه دعيه !
محيّاك فيه ، وحبى فيه
وإن كنت من قبل لم تسمعيه
به يا بنية أو تهمليه
يك وقوعاً أرى القلب لا يشتهي
فلانى لآمن أن تكسريه
ولكن بربك لا تنقليسه

(١) ناشه : تناوله وأخذ به ، والنواجذ : أقصى الأضراس .

بعض الزراية

بعض الزراية نافع فى حبهن فلا تُغال^(١)
لولا الزراية لم تطق منهنّ مشنوء^(٢) الخصال
ما حبهن من المها نة فى قرارته بخال

قبل السكر

لمع الشراب وراق منظره فرشفت منه خلاصة الراح
حتى إذا غالبت سكرته صفقته^(٣) ، فرددت أقداحى
شكرًا . فما أقسى المغبة لو أمسى يشاب ولست بالضاحى
قدحانٍ أسلم لى ، وإن فتنن عينيّ لمعة حسنه الضاحى

لغير البيع !

جواهر الحب قالوا غير زائفة مهلا ! فما أنا فيه بائع شار
كلا ، ولا أنا من شك ولا ولع بالسر عارض أحجارى على النار
خذ معدن الحب إن ألفيت معدنه إنى قنعت بومض منه غرار
ما للأناسى من حب يدوم ولا حب يقوم على صدق وإشار

(١) أى : لا تبالغ .

(٢) المشنوء : المستفيع .

(٣) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء .

جزاء التحدى

بُنِيَّةُ مَا صَنَعْتَ ؟ جِزَاكَ رَبِّى بِحُبِّ فِى مَشِيْبِكَ مِثْلَ حَبِّى
لَقَدْ غَيَّرْتَنِى حَتَّى لَوْ اَنِى اَرَى قَلْبِى اِذْ نَ لَجْهَلْتُ قَلْبِى
سَلِىْنِى كَيْفَ كُنْتُ وَكَيْفَ صُرْتُ وَقَوْلِى مَا صَنَعْتُ وَمَا صَنَعْتُ
قَدَرْتُ عَلَى الْحَوَادِثِ بَعْدَ لَأِى^(١) وَهَآ اَنَا ذَا كَأْنِى مَا قَدَرْتُ

أَخَافُ وَكَانَ لِى قَلْبٌ قَرِيرٌ فَهَآ اَنَا ذَا اِذَا صَفَّرَ النَّذِيرُ^(٢)
أَتَوَقُّ إِلَى غَدٍ لَتَتَرَكَ عَيْنِى وَأَرْجَمُ مِنْ يَغَارِ بَيْنِ يَغِيرِ

وَكَانَتْ لِى سَلَالِمُ ارْتَقِيْهَا فَرَادِى لَا اُبَالِى مَا يَلِيْهَا
فَعَدْتُ مُثْنِيًّا عَجَلًا كَأْنِى أَخُو الْعَشْرِينَ مَرْتَقِيًّا سَنِيْهَا

وَكَنْتُ مِنَ السَّامَةِ لَا اُبَالِى ... اَذَمُّ النَّاسِ اُمُّ حَمْدُوا فِعَالِى
فَهَآ اَنَا ذَا اَسْأَلُ مَا عَسَاهَا سَتَسْمَعُ فِىَّ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ

وَكَنْتُ هَزَّتْ حَتَّى بِالْجَمَالِ وَحَتَّى بِالْفَنُونِ وَبِالْمَعَالِى
فَمَا لِى الْيَوْمَ لَا اَرْضِى بِحَالِ وَكَنْتُ الْاَمْسَ اَرْضِى كُلَّ حَالِ؟

(١) اللأى : البطء .

(٢) نذير الغارات .

أعود إلى الحياة فتلك عندي هموم المستعيد المستعد
تحدث الحياة فهل جزتني بهذا الحب عن ذاك التحدي ؟

إعفاء

أعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء . !
خونى ! فما أسهل التقصّي عندي وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى فقلّك يا زينة النساء

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذى يُعقب الشكوى
فحبى من النعمى ، وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حجة
فلا نار بعد اليوم . . . اليوم للحلوى !^(١)
ومحضته ماء الشباب فما ارتوى

فهل فى خريف العمر يطمع أن يُروى
رضيت بما أعطى وأحسبه ارتضى بما أنا معطيه على غير ما يهوى
فلا زال فى عقباه ضحكا بلا بكاء ووصلا بلا هجر ، وهجراً إلى سلوى

(١) يستقيم الوزن بالوقوف التام على «اليوم» الأولى ، ثم الاستئناف على «اليوم» الثانية - وهو
مالا يجيزه المتشدّدون من العروضيين ويؤثرون عليه إدخال فاء المعطف على «اليوم» الثانية .

زهرة ديسمبر

خل أيار^(٢) ونوارا له ربما أعجب قوما ربما
خير نوارى الذى أهديته زهر فى شهر كانون^(١) فما
عيد ميلادك من بستانه يا ربيعاً فى الشتاء ابتسما
هات يا كانون زهراً كلما سقط الزهر تعالى وسما

من تقليد «نشيد الأناشيد»

أجل تلك خباياها وهاتيك خطاياها
فهل تدرين ماذا لك الذى يدعى مزاياها؟

لما فيها من العيب سننساها وننساها
وللحسن الذى فيها سنحيا الآن ذكرها

سأحصي لك ما يعجب منها، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضب بعد السعى والدس

ثناياها . ثناياها وهل ذقت ثناياها؟
وعيناها ، ويا للقلب ! كم تسببه عيناها؟!

(٢) أيار و كانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء .

وتلك الوجنة الخمر ية السكران رائيها
أفى الجنة يارضوا ن تفاح يحاكيها؟!

* * *

وتلك القامة الهيفا ء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفاها أقام الجور نهذاها

* * *

وتلك النسمة الخلو ة فى ثوب الأناسى
هى الروح الفراش ية فى النور السماوى !
دعيها تفسد الخمس ين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الإكس ير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من حُميا^(١) الش عر إكسيري وترياقى
وهل كالشعر فى الدن يا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج

ما الحب من محض الصدا قة يابنى ، ولا العدا
الحب فيه الخصلتا ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء والاغتصا ب ، وقل على الدنيا العفاء!

(١) الحميا : سَوَّرَه الخمر .

مسابقة

أغنيتها عن خدعتي زما وخدعت نفسي في محبتها
فبلغت أقصى الظن بمتحنا صبرى ، ولم ألحق بخطوتها

لا تخلفى !

لا تخلفى وعدى فأكبر لذتى فى الحب إعزازى لصاحب عهده
ويغض من إعزازة ودلاله أنى إذا وعدَ ازدريت بوعدده

أخلفى

إن كان خلفك للوعود تدللا بمكانك الغالى لدى فأخلفى
ما كنت أتبعه القطيعة أنه هو منك واعجبى يطيل تشوفى

بنت البحر

أبنيّة البحر التى ضربت لنا بسكندرية موعداً لتلاق
إنى مددت يدي لتلمس شاطئى قدماك لا لتسعجلى إغراقى

اكذبینى

اكذبینى مرة أو فاكذبینى مرتين

ألف ألف من أعاجيبك فى غش ومين (١)
لن تبيد الفارق الخا لدا قرة عيني
والسموات التى بينك فى اللب وبينى

اكذبنى واكذبنى كلما شئت اكذبنى
ما غناء اللب عندي إن أبى أن تخدعيني
أنا فى ثروة وفـر منه مهما تسلبيني
أنقصيها . أى ضمير ؟ درهما أو درهمين !!

تقويم العام .

تقويم هذا العام من لحظاته الأولى لديك
قومي ارفعيه وارفعي عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعـه إلى رجـعـاء موقوف عليك

وإذا انتهت أيامـه ولكل عام منتهـاء
فعليك أنت وداعه .. وترحـيبـين بما تـلاه
ويحي إذا دار المـدى ورعيت وحـدى ملتقاه !

(١) للين : الكذب .

هي قُبلة ضَمَّتْ عُرَى عامين فاتصلا اتصالا
ومُنَى الخواطر في غد عام كسابقه مالا
لا تَعَجِّلَنَّ به فما أفسى الحياة على العجالي

لا . لا . فهذا يومنا وغدٌ ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمض عيني ومس تمتع إلى حادي الرجاء
فإذا سمعتِ حُداءه فدعيه يمضي حيث شاء

وعام ثان

بشرای . ما أنا شاهد يا عام وحدي ملتقاك
دارت بُرُوجُك والهوى يخطو وتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلا ومضى ، فلم أذم قفاك

هذي فستاتى هذه ! هي لا خلاف ولا اشتباه
هي في بديع قوامها هي في لصبا ، هي في حلاه
هي في غوايتها وآ هي من غوايتها وآه

ضُمى تُغْيِرُك يا بنية وابعثنى منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى عام ، ولكن بالقبيل
إن ساعفتني ليلة فدعى العهود إلى أجل

عام تفتح بالرجاء وبالرجاء ختمته
ودعت ذاك العام في قربي كما استقبلته
قولي ، وقد ولي ، أفي شرع الوفاء قضيته ؟

لا تخدعيني يا بنية بالوفاء من اللسان
خنا وخنت ولا أقو ل سلى فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معاً والآن نحن الباقيان

ذهبت خيانتنا كما ذهب الوفاء ومن يفون
لا ذمة تبقى ولا يبقى الوفي ولا الخؤون
كم ذمة ضيعتها يا عام في تلك الغضون !

انظر أأست ترى فتاً نى حيث كنت ضمنتها
فى جلسة الأمس التى حتى الصباح جلستها
فكانها ما فارقت صدرى ولا فارقتها

وإذا سألت وربما جاء السؤال بلا كلام :
«ماذا تقول مودعى والليل يومئى بالسلام»
حيرتنى يا عام فاستم مع الجواب ولا ملام

ما كنت عندى أيهذا العام كُلُّكَ بالسعيد
لكن سويعات مضت لى فيك تُنسى ألفَ عيد
غفرت ذنوبك كلها وطفت على العام الجديد

حسبى من الدنيا الذى أعطت ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها وقليلها أبداً كثير
إن عاد يوم غد كأمس فس فذُرْ زمانُ كما تدور

وعام ثالث !

... والثالث الموصول أقـ بل مرحباً بالثالث
رَحَّبْتُ منه بمقبل إقبال لاه عابث
ما كان يكرثنا ^(١) شقا قالم يعد بالكارث

رضنا الغرام رياضة الـ فَرَسِ العصى فاذعنا
لا جامحاً قلقاً ولا تَعَباً يثن من الونى ^(٢)
أنعم بذلك مركباً بين العسواثر لينا

(٢) الفتور .

(١) يهمننا ويشغل بالنـا .

ما للغرام يسومنا بنعيمه وشقائه
إنا لمفتنمو جهنم به اغتنام سمائه
لسنا على يده يجو دلنا بمحض سخائه

ما شب من نار طبخ لنا فوقها حلوى الهوى
أو صب من غيث غمر لنا فيه آلام الجوى
أو زف من ربح وهبنا ها الشراع كما استوى

أهلاً بعام ثالث يتلوه عام رابع
بل خامس فيما عهد ت وسادس أو سابع
ما ضاقت الدنيا وفي جنبك قلب واسع

قلب تفتح بعد ما استعصى بباب واحد
أو قل تشقق بالجر اح فلم يضق بالوارد
ما حيلة الأعوام فى غير الزمان الفاسد

يا قلب إنك قد أرد ت فإين ويحك ما تريد؟
عام سعيد! إى ور بك... قل إذن عام سعيد
هبك اعتزلت سروره أتراه ينقص أو يزيد؟

بعد سنة

سنة مـسـرت ولا كل السنين

بين صيف من هوانا وشتاء

وربيع كلما غمام أخفاء

والضحى والليل حيناً بعد حين

سنة كان لها نجم فريد

غمر الشمس وغطى القمر

ومشى فى حسنه منتصرا

كل برج تحته برج سعيد

إن يكن لى فى سناء رقيباء

فالذى أرصده لم يرصدوه

والذى أنشده لم ينشده

والذى هاموا به عندى هباء

سنة منرت على روض الغرام

أنبتت فيه فنون الشجر

من رياحين وغرس مثمر

وسل الأرواح ما أزكى الطعام !

يومها الأول وافى ودنا
فانس أيامك فى ساعاته
واجمع الصافى من لذاته
جرعة ، واطرب عليها زمنا

جرعة نجم فيها سكر عام
إن شربناها فقد تشربنا
أو سكبناها فقد تسكبنا
فى الهوى روحين فى كأس وئام

هات لى الذكرى وقرب لى العيان
فهما يا صاحبي بين يدي
حضرا الساعة يا صاح لى
ربة الذكرى وذكرها قران

هات لى الذكرى أراها وترانى
غضة ملموسة فى راحتى
حلوة معسولة فى شففى
جنة تنبت فى كل أوان

جنتى لا خَيَّةُ تخرجنى
أبدًا منها ولا أحياؤها
لا ولا إبليس أو حــواؤها
أنا فيها خالد كالزمن

أنا منها وهى منى فى الضمير
فإذا فارقتها بالنظر
لم يفارقها ضميرى غمُرى
وله العصمة من مس السعير

سنة كان لها نجم فريد
هات منها أيها النجم وهات
سنة ثانية بل سنوات
ولنا منك مزيد المستزيد

أنت يا نجم معيد ما تشاء
لا السماوات ولا داراتها
غنيَّة عنك ولا أوقاتها
أنت ميقات وشمس وسماء

أنت تدنيها سماء زلفا (١)

تنسج الوقت لنا منفردين
لا مشاعاً كنسج النيرين

بل لنا طوع يدينا وكفى

المرأة والخداع

خلّ الملام فليس يثنيها ،	... حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ،	ورياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيما تكيد به	من يصطفئها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها	من طول ذل بات يشقيها
أنت الملموم إذا أردت لها	ما لم يُرده قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها أبداً	تخلص إلى أغلى غواليها

رواية

ما غرني إقناعها	كلا ولا إمتاعها
ماذا تخبني طفلة	رقت ورق قناعها
بل غرني علم الطب	ع ، وللنفوس طباعها

(١) الزلف : التقدم والتقرب .

أوليس علماً بالحيا	ة يهون فيه صراعها
إنى أشاهد كيف يف	طم فى القلوب رضاعها
أو كيف يسرى فى النفو	س الواعيات خداعها
أو كيف ينهض بعد طو	ل سباته دفاعها (١)
أو كيف يومض بعدما	خفت السراج شعاعها
دعنى فتلك رواية	شافت وشاق سماعها
ألمى الوجيز رقاعها	إن قيل أين رقاعها ؟
وأنا العليم ، وقد علم	ت ، متى يكون وداعها

* * *

لغيرك !

لغيرك غفران تلك الخطايا	وغض الجفون وستر الخفايا
لغيرك ، لا لك ، صبرى على	مساوى يُحسبنَ عندى مزايا
لمن أرسلتكَ ، ومن جملت	ك ، ومن حبها كامنٌ فى حشايا
ألست رسولَ الحياة الأمل	ين بأسنى الهبات وأغلى الهدايا
فهاتى الرسالة واستغنمى	ثنائى ، ولا تعجبنى من هوايا
إذا الرسل أفضت بما عندها	فما حيلتى فى اختلاف الوصايا
سواء لدينا بريد الوجو	ه ، إذا حسنت ، أو بريد الطوايا

* * *

(١) الدفاع : قوة المرح وكل مدفوع .

ماذا استفدتُ ؟

برئت من غش نفسي ولا أقول انتبهتُ
قد كنت ساهر عین مستيقظاً ما غفوتُ

برئت من غش نفسي وليتني ما برئت
ما العمر محض نهاراً في العمر للغمضي وقت

ها أنت يا عين يقظي وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمرى وما عساني استفدت !؟

تربصي

إذا احتواك قفصي

سرى الفتور في جنا حيك وإن لم تنقصي
وغرد الطير وضاً عت في الغناء فرصي

وخفت في سجنك ألا ترقصي

وإن ملكت الأفقا

حيّرني رجب الفضا مهبطاً ومُرتقى
وأوشك الصدر لفرط الضيق ألا يخفقا

وطار في إثرك لبي قلعا

تربصى . تربصى !

ما حيلتى؟ ما مهراً بى؟ ما مخلصى؟
الموت قناص الأبا بيل وحلال العصى
يقنصنى ويحك إن لم تنقصى

فهمان

لما نفست بما أغا لى فى هواك وأطنب
لم تفهمى منى سوى أن النفائس تُطلب
وفهمت من نزغات طب عك ، والطبائع تغلب
أن النفائس كلما عزت ، تراد ، فتوهب !
فرخصت من فرط الغلو وخبتُ فيما أحسب
وخسرت فيك خسارتين ، وخلت أنى أكسب

كيف ؟

تحفة من بدائع الله تحمى كنزها كف طفلة لا تقرر
كيف لي بادخاره في يديها ؟ كيف لي باحتقاره وهو ذخـر

مصيبتان

قالوا اسألها ودع البكاء فإنها في حبها ليست بذات وفاء
ومصيبتى فيها اثنتان لأننى أبكى لمن لا يستحق بكائى
من كان يبكى الأوفياء ففى الأسى لمن استحق أساء بعض عزاء

ندم !

عشقتك مُكذِّباً خلقى ورأيت وعفتك صادقاً لهما أamina
وما أخطأت فى لؤميك يوماً وقد أخطأت فى عُذريك حيناً

حلم الأبد

آهواك جسماً علا وانفرد وفتنة حسنك هذا الجسد
وما فيه من نزوة لا تحد ؟
بُنية كوني كما قد خلقت فأنت كما شاءك الله أنت
وما شئتُه أنا حلم الأبد

عيوبك

عيوبك لم أحفل بها قبل فتنى وهيهات يشنى العيبُ نظرة مفتون
فيا يؤس للعشاق لاعلمهم حمى ولا جهلهم إذ يجهلون بأمون

مساومة

ما حيلتى إن جهلتُ حسنها فسلمت بالبخس للمشتري
لو كنت فى جهلها بعتها ببعض ما هان على المزدرى
إنى على إغلائها فى الهوى أربح فى الصفقة من منكرى^(١)
ليس الذى يقدر ما ناله كمن إذا أعطى لم يقدر^(٢)

اللذات والويلات

غداً تنسين لذات بلا عداً ولذات
ولا تنسين ويلاتى ولا زجورى وإعناتى
فما فى تيك من حبك بعض الحب فى هاتى
وهيهات الهوى الطاغى من العابث هيهات

(١) أربح : أى أكثر ربحاً .

(٢) قدر الشيء يقدره ، أى عرف له قيمته .

عجائب القلب

تلك التي كنت أغليها وأذكرها صبحاً ومُسبياً وفي سر وإعلان
قد كنت أرحم نفسي من تذكرها فاليوم أرحمها من فرط نسياني
عجائب القلب ، ويلي من عجائبه ! عزت نظائرها في العالم الفاني

عدنا والتقينا

التقينا

والتقينا !

عجباً كيف صحونا ذات يوم فالتقينا
بعد ما فرّق قطران وجيشان يدينا
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا (١)

بعد عصر !

أى عصر ؟

والنوى تجرى وسر الحب في الأكوان يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر
قضى الأمر كما شاء ، وعدنا فالتقينا

(١) كان صاحب الديوان قد سافر إلى السودان على أثر هجوم الألمان واليطاليان على حدود مصر الغربية في شهر يونية سنة ١٩٤٢ ثم عاد بعد أسابيع لعلاج يديه من حرارة أصابتهما ، فاتفق وصوله قبل يوم الذكرى المشار إليه في القصيدة .

كم بكيت
واشتكيت
ثم ألهمت على الغيب فأصغينا وقلت
قلت في السابح والعاشر من شهر سيأتي
ها هنا سوف تراني، فرأينا والتقيننا

يوم ذكرى
ذاك أخرى
بالتقاء كلما دار به الحول وأسرى
في سماء تعب الشعرى وتدنى كل شعري
كيف يلقانا وحيدين غدً فيه التقيننا

قبل عام
ثم عام
كان يوم، أي يوم، في صفاء وابتسام
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقيننا

وتداني
وكلانا
زائغ الطرف يناجى الأفق قلباً ولساناً
ثم ماذا ؟ ثم كن يا بُعد لي قرباً ، فكانا
واستعان الحب بالداء حليفاً فالتقيننا

كم غرام
وسقام

عرفنا الحلف على غير سلام ووثام
فإذا ما اجتمعنا فانتزعاني من مقامي
فبحسبي منهما أنا شكونا فالتقينا

يا فتاتي
يا حياتي

لا تراعى بعد هذا من فراق أو فوات
قدّر الله كفيل لك في ماض وأت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا

نذر مقبول

أرايت حين نذرت ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذي لباك ؟ من ذا أجاب منك ؟
قديسة عطفت على المكنون من نجواك
ووعدها فوفيت

قديسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا
من ذا يلوم هواك من ذا إذن يلحاك
والعذر عذر صبابتي والحق حق صباك
كذبوا إذن وصدقت

بالشمع كم أغريتها أتراك أنت خدعتها ؟
كلا وما أقواك فى خدعة وشباك
فالنور لب غذائها والنور صفو رضاك
شغفت به وشغفت

من الأستاذ عماد (١)

يا حزين النفس أعطيت مناها فاغنم الفرصة حتى منتهاها
لا تنفصها اختباراً واكتناها إن من خاف من الجن يراها

النوى آتية لا شك يوماً وهى من حولكما لم تأل حوما
همها ألا يدوم الصفو دوماً فعلى رسلك لا تُعجل خطاها

لا تقل يا وردتى شوكتك أينما ما علينا منه فيها ، ما علينا ؟
إنها أخفته عنا فانتبهينا حسبنا الوردة رفّت فى نداها

ليس شك أن للوردة شوكا وإذا أدنيت كفاً منه شكا
فأحبك القفاز فى كفيك حبكا واخلس الوردة واستغرق شذاها

(١) هو صديقنا الشاعر المجيد : الأستاذ محمود عماد .

أنت فى الجنة أُلقيت يقينا فدع الشك أو استمهله حيناً
إنه الشيطان قد أخفى القرونا إنه الحية فاحذر من أذاها

لا تسلمها يوم تأتى أين كنت ؟ فبحسب العين أن الحسن يأتى
ذاك وقت فيه يفنى كل وقت ساعة دقت ، وغابت عقرباها

ساعة دقت فأدت ما عليها فعرفت الوقت لم تنظر إليها
ما الذى تطلبه من عقربها إن تغيبا خلف ستر قد حماها ؟

قلت أنساها بأخرى حين تُغرى أترى أخراك لا تطلب أخرى ؟
من يقول الجمر قد يطفى جمرًا اللظى من غيرها مثل لظاها !

إنها منك دنت فلتدن منها وإذا خانتك من بعد فخنها
أو فجرُّب هل تطيق الصبر عنها ؟
لا . وشمس الحسن فيها ، وضحاها (١)

غصت فى اللجة حتى أذنيكا وحزام العوم لم يلق إليكا
رحمة الحسن إذن تُثرى عليك رحمة إن شاءها الحسن قضاها

(١) الواو هنا للقسم لا للمطف .

وإذا شاء فلا رحمة تقضى ودعا بعضك نحو القاع بعضا
تبتغى من تحت هذى الأرض أرضاً
لا . فدنيا الحب لا دنيا سواها
محمود عماد

إلى الأستاذ عماد

يا صديق النفس من عهد صباها
نصحك الصادق لو تُشَفَى ، شفاها (١)
محنةً تبلغ فى يوم مداها ما ترانى صانعاً ، أو ما تراها ؟

ناصحى أنت بزهرى أنتشيه لا أبالى الشوك والغصّة فيه
كل شوك يا صديقى أتقيه يخرق الدرع وإن دقت عراها

وردتى يا صاحبى فى الورد بدع! بدعها طبع ، وكل الورد طبع
طبعها كالفخ ينهاك ويدعو وبلاء النفس فى مسّ جناها

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا الجنى الكيد ، فهل نأمن كيذا؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيذا الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها!

(١) أى أن نصحك قمين أن يشفى النفس لو أنها تقبل الشفاء .

وردت أفيتها فرط التحدى جاوزت فى كل شىء كل حد
حسنها هيهات منه حسن ورد شوكتها أنفذ من شوك سواها

* * *

أترانى نافعى والقلب دام وسعار الجرح يمشى فى عظامى
لذة العين بوشى ونظام وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

أه من برئى وأه من سقامى أه من صلحى ، وأه من خصامى
أه من شمسى ، وأه من ظلامى أه من لدعة أه فى جواها

* * *

لدعة النيران ينفثن دخاناً ليضىء اللهب الخافى عيانا
لهباً صرفاً تعالى وتدانى من قرار النفس يرتاد ذراها

* * *

أه من آه لحاها الله جداً لا تزل خالدة فى النار خلدا
من قلوب تتلظى حباً وحقدًا حرقى أهاتها أهًا فأها

* * *

أنا لا أطلقها حتى تذوبا فى لظاها ، كلما شبت شبوبا
وأرانى يا صديقى لن أتوبا فإذا تابى عرفنا منتهاها

* * *

طلاء نفس

زرقة عينيك لا صفاءً فيها ، ولكنه فضاء !
حمرة خديك لا حياء ، فيها ، ولكنه اشتهاا !
قوامك الرمح لا اعتدال فيه ، ولكنه اعتداء !
يا حيرة القلب فى هواه ! يا غاية العمر فى مناه
وجهك سبحان من جلاه ولوث النفس بالطلاء !

حبك لا نعمة أراها فيه ، ولكنه جزاء
من فى الصببا جرت فى هواها !
من تلك مقبولة الدعاء ؟
أنت عقابى فهل كفاها برح شقائى أولاً اكتفاء ؟
يا جنة حسنهاب عقاب يا خمرة عذباب عذاب
متى متى ينطوى الكتاب ؟
متى فراقاً بلا لقاء !

بنيته

بنيته ، والعزم صخرى المتين ومعولى حد العذاب السنين
اسمع . ألا تسمع هذا الرنين هذا فتات القلب . هذا أنين
فى كل ركن قطعة من وتين ^(١)

(١) حرق فى القلب .

بنيته فى حفرة من شقاء والدم والدمع عليه طلاء
هناك ، فى زاوية ، فى الخفاء تم بحمد الله ، تم البناء !
ماذا بقى ؟ لم يبق إلا الدفين !

بنيته . يا حسنه ! يا سناء ! بنيته : قبر الهوى فى صباه
قبر الهوى الغالى وواحسرتاه ! قبر الهوى الذاهب فى منتهاه
هل بعد «خمسین» هوى يا حزين ؟

هاتوا الدفين الغض . هاتوا الأمل هاتوه أذى جسمه بالقبل
أدميه ؟ لا . لا دم بعد الأجل جفّ وما جفت عليه المقل
هاتوه أحييه بذكرى السنين

دفنته ، ويحك ! هل تستريح ؟ يا خارب القلب عمرت الضريح !
ذاك الثرى المنهال . ذاك الصفيح يا ليتنه ركن الخراب الفسيح .
أوليتك الساعة فيه الدفين

أه من الحـيـرة أه وآه أنافع قلبى ، رُجعى هواه ؟
ولو خلا القبر ، أهذا مناه ؟ ... لو أقفر الساعة بما حواه
خلت من الحيرة أنى الغبين

هنت والله

هَوْنَتْ خَطْبَكَ جَدًّا وَخِلْتَهُ لَنْ يَهْوَنَا
حَمْدًا لَكَيْدِكَ حَمْدًا ... حَمْدًا يُفِيضُ الْعَيُونَا
بَلَلْتُ بِالنَّارِ بَرْدًا وَبِالْهَيَامِ سَكُونَا

إِنِّي أَمَنْتُ الْفَتُونَا
وَأَنْتَ مَــاذَا أَمَنْتَ ؟
قَدْ هَنْتِ وَاللَّهِ هَنْتِ !

كَمْ دَارَ فِي الْكَوْنِ رَأْسِي حَيْرَانٌ يَطْوِي بِقَاعَهُ
شَكِي يَسْأَلُ حَذْسِي أَيْنَ اخْتَفَتِ مِنْذُ سَاعَةٍ ؟
سَفِينَتِي الْيَوْمَ تُرْسِي وَالرَّكْبُ يَطْوِي شُرَاعَهُ

غَيْبِي بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ
مَا أَنْتَ وَيَحْكُ أَنْتَ (١)
قَدْ هَنْتِ وَاللَّهِ هَنْتِ

لَوْ قِيلَ «بَنْتُ الْهَوَاءَ» صَدَّقْتُهُمْ فِي الْمَقَالِ
وَرَثْتِهِ فِي السَّخَاءِ وَفِي شَيْعِ الْخَوَالِ
لَوْ كَانَ فَيْكَ بِقَائِي لَمْ تَخْطُرِي لِي بِبِئَالِ

مَنْ بِالْهَوَاءِ يَبْأَلِي
كَوْنِي إِذْنِ حَيْثُ كُنْتُ
قَدْ هَنْتِ وَاللَّهِ هَنْتِ

(١) « ما » هنا للتفني .

خذي عشيقين مثلي لا بل خذي الناس طُرا
يلقياك هذا بليل وذاك يلقياك ظُهرًا
إن تخدعي ربَّ نبلٍ يخدعك نذلانٌ مَكْرًا

وتشربى الجِمامُ مُرا
حتى يُقالَ جُنُنتِ
قد هنت والله هنت

يا فـرحـة القلب لما رَخِصْتُ بعد غلاء
خسري بذلك تما وتمَّ منك نَجائى
ولو حسبتكَ غُثْمًا لَطالَ فيك شَقائى

وغُصُّ قلبى بدائى
لكن رحمت فـخنت
وهنت والله هنت

فراغ . فراغ

فـراغ بارد شـات بلا ماضٍ ولا آتٍ^(١)
أأموات ؟ نعم لكن نحس فناء أأموات
ويا بؤس الفناء نحسه فى كل ميقات

(١) شات : اسم فاعل من شتا يشتر ، أى دخل فى الشتاء .

فى مصر غيث الصحراء

ألقىت هذه القصيدة بين يدى صاحب الجلالة الملك «فاروق الأول» فى رحلته إلى الصحراء الغربية (١٩٣٨) وكان صاحب الديوان يمثل دائرة الصحراء بمجلس النواب .

يا حادى البشرى دنا السفر ناد القبائل حيثما انتشروا
فاروق فى البیداء يصحبها ... تيهوا بنى البیداء وافتخروا
رَفَع الخيام على السحاب فلا أسس تطاولها ولا جدر

فى طالع الأيام مرتقب ولسابغ الإنعام مدخر
كالغيث لولا سبق أنعمه والغيث يلحق بعده الثمر
كالنيل لولا أن موسمه فى كل يوم حاضر نضر
صلح الزمان لكم بمقدمه وازدانت الأصال^(١) والبكر
فاستبشروا بالخصب أجمعه لا جذب حيث النيل والمطر

أحببتموه على السماع كما شاء الولاء ، وشاعت السير
وتشوّف الوادى لرؤيته وتساءل الركبان ، وانتظروا
وتجاوبت فيكم مدائحهم نظمًا رواه البدو والحضر
والعرب أصدق ما سمعت إذا غنوا على البیداء أو شعروا
فالآن فاكتحلوا بطلعته وتيمنوا باليمن وابتدروا

(١) جمع أصيل ، وهو قبيل وقت الغروب .

ملكٌ تعالى الله بآرثه سِيَان فِيهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
لم يَخْتَلَفْ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ مِنْهُ ، وَلَا خُبْرٌ وَلَا خَبَرٌ

ملكٌ تعالى الله بآرثه بِالْخَيْرِ يَا أَمْرُنَا وَيَأْتُرُ
مُسْتَعَصِمٌ بِاللَّهِ مُعْتَزِمٌ مُسْتَمْسِكٌ بِالْحَقِّ مُقْتَدِرٌ
سَبَقَ الشَّبَابُ بِهِ مَرَّاحِلُنَا وَأَعَانَهُ الْإِلَهَامُ وَالنَّظَرُ
وَتَفِيَّاتٌ بِلَوَائِهِ عُصَبٌ وَتَأَلَّفَتْ بِفَنَائِهِ زَمَرٌ^(١)
نَعَمُ الْإِمَامَةُ لِلشَّبَابِ فَلَا يَأْسَ وَلَا نَكْصَ وَلَا حَذَرُ
جَيْلٌ لَزِينَ الْجَيْلِ أَسْلَمَهُ رَبُّ الْكِنَانَةِ ، فَهُوَ مُنْتَصِرُ
الْعَزْمِ وَالشُّورَى إِذَا اجْتَمَعَا فَهَمَا قَضَاءُ اللَّهِ وَالْقَدَرُ

يَا مُؤْمِنًا بِاللَّهِ مَهْتَدِيًا بِكَ مَسْجِدُ «الْعَوَامِ» مُشْتَهَرُ
يَا نَسِجَ وَحْدِكَ فِي مَأْثَرِهِ بِيَدَيْكَ زَيْنَ الْقَطْنِ وَالْوَبْرِ^(٢)
يَا جَاعِلَ الْمَلْحِ الْأَجَاجِ رَوِيَّ^(٣) بِيَدَيْكَ طَابَ الْمَلْحُ وَالصَّبْرُ
يَا شَافِيَّ الْمَرْضَى وَكَافِلَهُمْ عَيْسَى عَلَى كَفِيكَ مُسْتَتِرُ
يَا حَصَنَ مِصْرَ وَيَا دَعَامَتَهَا أَقْوَى الدِّفَاعِ مِرَاسُكَ الْعَسَرُ
يَا شَاهِدَ التَّارِيخِ فِي أَثَرِ الْعَيْنُ أَنْتَ ، وَمَا مَضَى أَثَرُ
مَا كَانَ مَنْسِيًّا فَشَهْرَتُهُ بِكَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ يَنْتَشِرُ

(١) أى استظلت برباطه جماعات .

(٢) أى أنك زنت القطن والوبر ، كناية عن الرادى والصحراء .

(٣) الروى هو الماء الغزير المروى . ومن المنشآت التى افتتحها صاحب الجلالة فى مرسى مطروح منشأة تصفى ماء البحر من الملح فيصلح للشرب ، والبيت يشير إلى هذه المنشأة ، كما تشير الأبيات الأخرى إلى المعامل والمساجد ومعامل النسيج التى افتتحها جلالتة فى هذه الرحلة ، والآثار التى زارها .

انى الى الصحراء ملتفت
 اصغى فأسمع فى جوانبها
 آلاء فـاروق يرددها
 تنمو وتزهر حيث لا شجر
 يهفو النزيل لها وينشدها
 قوم سماء الله فوقهم
 ان يذكروا بالحمد راعيهم
 هم فى صراحة أرضهم نشأوا
 بلغاء ما عرفوا السطور على
 حرمتهم الأيام فاصطبروا
 فاروق قبلتهم إذا رحلوا
 يا ملبسًا أجسادهم حللا
 وعلى قم الصحراء منتظر
 هزجًا يشيع بها ، وينحصر
 نفر ، وينصت حولها نفر
 ينمو ، وحيث نما بها الشجر
 سارون فوق جمالهم سهرُوا
 وملوكهم لسمائهم صور
 فهم الرعاة ، وهكذا فطروا
 وعلى هدى لآلائها ظهروا
 غير الرمال ، وعاش ما سطورا
 ومتى أصابوا نعمة شكروا
 وإليه موثلهم إذا حضروا
 شرفت أنفسهم بما ادثروا

الملك والافاق والقمر
 أمد تفوت العين غايته
 هى رحلة طالت مفاخرها
 لو فرقت فى الدهر لاتسعت
 فى ساحة الفاروق يملأها
 تنقاد طائرة وسابحة
 والبحر والبيداء والذكر
 وتموج فى أنحائه الفكر
 ويعد فى أيامها قصر
 لشعابها الأحقاب والعصر
 زخر الحياة ، ويحجم الخطر
 ويطيب منها الورد والصدر (١)

(١) بعض هذه الرحلة تم بالطيارة ، وبعضها بالسكة الحديد والباخرة .

تمثال سعد

نظمت تحية لتمثالي زعيم مصر الكبير سعد زغلول عند رفع الستار عنهما بالقاهرة والإسكندرية (٥ أغسطس سنة ١٩٣٨) .

* * *

الروح فى وادى الكنانة حائم	وجلال شخصك فى النواظر قائم
ما غاب منك سوى مثال عارض	يمضى ، ويخلفه المثال الدائم
مَلِكُ البلاد المستقل وشعبها	فى محفليك مساهم ومساهم
أَمَلٌ لعمرك لم تطاوله المنى	شرقاً ، وحلم ما رآه الحالم
تزهى به مصر ويزهى الشرق من	كثب ، ويعجب من صدهاء العالم

* * *

فاروق مولده ومولد نهضة	تنمى إليك ، كلاهما متلازم
فإذا أظلك عرشه وجلاله	فالعادل قسمته ، ونعم القاسم
شيمٌ من الخطاب جمع شملها	العادل الفطن الكريم الحازم
مَنْ غير فاروق يصوّر أمةً	أنت الزعيم لها ، وأنت الخادم
مَنْ غير فاروق يبارك نهضة	منه الرجاء لها ومنه العاصم
من غير فاروق يقلد رتبةً	والصولجان بكفه والخاتم
من غير فاروق يجل رعية	حوليه سابقٌ مجدها والقادم
من غير فاروق تنصّ يمينه (١)	علمًا للاستقلال فيه علائم
حياك أو أحيا رجاءك عاهل	عهدُ البلاد به جديد باسم
ملك كما ترجو لمصر مصدّق	بشراك ، مرتسم لما هو راسم
غمر البلاد بحبه وولائه	فولاؤه فرضٌ عليها لازم

(١) تنص : أى ترفع .

ركنان للوطنية المثلى هما
فاهنا بما بُلِّغت من حبيهما

عرشٌ ، وشعب حوله يتزاحم
واغنم ولاءهما فأنت الغانم

تمثالٌ سعد في الجزيرة ساهراً
النيل حولك لا يغيب هنيهة
شأن لربك في الحياة حكيته
كم صام سعد عن مناهل حوضه
كم بات يرعاه ، وليس يُثَرِّع
كم غاب عنه ولم يغب عن همه
بك زادت الأهرام ركناً والتقت
تلك الصروح على اختلاف بنائها
نهضت على استقلال مصر دلائلا
اليوم أن لجاني تاريخها
في الضفة الأخرى بقية عسكر
مصرٌ تضيق ، على اتساع رحابها
لم تستقر على دعائمك آخرًا
والنصرُ ردُّك للعدو مواليا
سعد على النيل الوفى ومثله
ما أعجب الصنوين للفرد الذى
أمجاور الميناء إنك لم تزل
متمكنا من حيث يُقبلُ قادم
نعم اختيار الموقفين لحارس

هيهات يغفل منك لحظ صارم
عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
فالظل للغضن الوريث موائم
ويعبٌ مفتصب وينهل غاشم
من خير ما يرتعيه الحاكم
والبحر دون طريقه متلاطم
منها على بعد الزمان دعائم
في الجزيرة الفيحاء هن توائم
يَغيا بنقض بنائهن الهادم
ألا يظلهما دخيل داهم
قاومتهم جهد المطيق وقاوموا
بكما فأيكما المقيم القائم ؟
إلا لأنك بانتظارك جازم
لا أنت راغمه ولا هو راغم
سعد على البحر القوى متاخم
أغيا بصنويه المدى المتقادم
ميناء مصر ، والخطوب خضارم
كرمت وفادته ، ويمنع قاحم
وطنا يحارب دونه ويسالم

يا سعد هلا من لسانك قولة
يمناك تومى بالكلام فأين من
عجبي لشيء فيه منك ملامح
عجبي لشيء فيه منك ملامح
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة
وتشابها ثم الأسارير التى
وتحجبت تلك الأفانين التى
إن لم تصورها اليدان فرمما
إن لا تحدثنا فكل محدث
أو لا يكن لفظ فدون الوحي من
الناس حولك سامع أو ذاكر
قف فوق منبرك الجديد فلم يزل
يصغى إليه العابرون فيقتدى
هذا المثال الحى أما حامد
هذا المثال مؤيد من ثابروا
خصم لكل مخالف آراءه
جدد لهاتيك الرؤوس حياتها ،
ما كان تمثالا يماط ستاره
بل تلك جامعة يؤم دروسها
تلك الرياح مجاذبات غطائه
فاروق أو مزجى الرياح كلاهما
والغيب يلهمه المليك إذا اتقى

يروى بها هذا الزحام الهائم ؟
إيمانها الصوت القوى الناعم ؟
أن ليس يُسمع منه قول حاسم !
أن ليس يخفق فيه قلب عالم !
والصخر بأسا يتقيه الصادم
قد شابها بتك بملهن ضياغم
ضاق الصنّاع بها وعى الراسم
خفيت فصورها الضمير الراقم
من فيض روحك ناثر أو ناظم
معناك - كل اللافتين أعاجم
ما كنت توشك أن تقول ، وفاهم
لك منبر عالى الذرى وقوائم
داع إلى الحسنى ويخجل أثم
للعاملين غدا ، وإما لائم
مُزّر بمن قصروا الخطى وتناوموا
وفعله وهو القوى الخاصم^(١)
بعض الرؤوس وإن حيين جماجم
بل منسكا للحج فيه محارم
متعلم سنن الحياة وعالم
رسل من العرش العلى حوائم^(٢)
للغيب ، من خلف الحجاب ، تراجم
ويقفز من فحواه ما هو كاتم

(١) الخاصم : الذى يتغلب على خصمه فى الخصومات .

(٢) قبل رفع الستار بأيام جذبه الريح فانكشف ، فتفاءل بذلك الذين أشفقوا من تأخير
الاحتفال برفع الستار .

يا أسبق الأعلام ربك سابق
ما قام للفلاح قبل مثاله
صعدوا على أكتافه وتسنموا
فاليوم يبتدئ الزمان بخلقه
شرفاً أبا الفلاح ما استفتحت من
همم ، وما استتلى بعزمك عازم
فى حيثما استبقت بمصر عظام
علم ، ولا دُعيت إليه معالم
أوج المنابر وهو جاث جاثم
حتى كأنك أنت فيهم آدم

لك لا تزال ولن تزال رسالة
ما للعظام إن بدأن خواتم

ثناء على ماهر

ثناء الكرام على ماهر (١)
على رجل زاهد فى الثنا
على من يسير بأعماله
ومن كل أيامه صالحا
فلا حيرة فيه للمُحتفى
تجىء مدائح الصادقا
فسيان إحصاء أعماله
ثناء على الرجل القادر
إلا من الأثر العاطر
فَيُقْبِلُ فى جحفل زاخر
ت لحفل بتكريمه عامر
ولا حيرة فيه للشاعر
ت عَفَوَ البديهة والخاطر
ونظم المقرظ والشاكر

بياناته مثل أرقامه
وأراؤه فى ثنايا غدد
حقائق للحاسب الحاصر
كرؤية عينيه للحاضر

(١) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر باشا (يوليو ١٩٣٩) .

وباطنه فى مواءمته	كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق فى بأسه	تمازجها رقة الساخر
وانصافه مأمّن للعندى	واخلاصه عصمة الناصر
واقدامه فى قضاء الفرو	ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب	فليس يوان ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكم يومكم	وطوبى لكم ذكّرة الذاكِر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا	بها نهج مبتكر باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا	مدى الحمد من وطن قادر
لكم من بنيه ومن عرشه	معاونة العارف العاذر

* * *

عيد الجهاد

«١٣ نوفمبر ١٩٤٠»

حُيِّيتَ يا عيد الجهاد	حييت يا يوم المعاد
يا يومَ مصّر ومالها	من فاصرين ، ولا عتاد
عزلاء إلا من سلا	حيها : الرجاء والاتحاد
بهما تصد الظافر	ين ولا تُصد ولا تُصاد
وتقود أشتات الصعا	ب ولا يلين لها قياد
وتعانِد الأسد الهصبو	ر ولا يطاق له عناد
تلقاه يوم تزلزلت	من بأسه السبع الشداد
والأرض بين يديه طيِّ	عنة الأعنة والوهاد

خُيِّيتَ يا يومَ الجَها
كَلًّا . ولا من قائل
جمعت بلادَ أمرها
وأراد سعد فانبهرى
ما السيف فى اليد غالباً
د ولا سُؤالَ بَمَ الجهاد ؟
أين الجحافل والجيا ؟
وكفى بما جمعت بلاد
وطنٌ يحقق ما أراد
إلا إذا غلب الفؤاد (١)

حييت يا يوم الجهاد
يوم الكرامة والجلا
كم عاقل فى الاقتحاح
ومحصل فيما أضاح
يوم الجهود والاجتهاد
د بل ، السلامة والسداد
م وجاهل فى الارتداد
ع ، مُضِيع فيما استفاد (٢)

وطنى سلمت من الغُصا
ما فى الجهاد غواية
وطنى خذلت الخادع
ما فى الصعاب خديعة
وطنى تبينت المصا
ما فى اللهب خبيثة
وطنى فررت من الهوا
ما كل خطب يُثقى
وطنى . وما وطنى على
يا ليلته بما يهو
ة ولا سلمت من الرشاد
إن الغواية فى الرقاد
ين ولا خذلت ذوى اعتقاد
إن الخديعة فى المهاد
رح والمداجى فى الوداد
إن الخبيثة فى الرماد
ن ولا فررت من الجلا
أو كل أمن يستزاد
بهين بين البلاد
ن فأستريح «على الحيا» !

(١) ما هنا تعميل عمل «ليس» وتؤدى معناها .

(٢) أى : كثيراً ما يكون الاقتحام من العقل ، والارتداد من الجهل ، والكسب فى الإنفاق والخسارة فى الاكتناز وعدم النفقة .

حاشا لمصر ولى وللسا
إنى نذرت لها دمي
وشرعت فى ميدانها
وعلمت أن لها غداً
دات فيها والسواد
ومنى يضمن بها الجواد
قلمى وإن نَفَسَ المداد
يُرْجَى ، وأمس يستعاد

شبان مصر تزودوا
أنتم حماة عرينها
إن زاد غيسركم العدا
أو سُدَّتُمْ فى أمة
لغد ، وبعد غد ، بزاد
ولكم معاقلة تشاد
فرداً فلا كان الزيادة
ذَلَّتْ ففرحتها حداد
من ذا يسود وحوله
لا يَخْجَلُنْ غداً إذا
وطن على ضميم يساد
ما حلّ من عيد الجهاد

إلى مهرجان السودان

يا جيرة المورد فى الوادى
صاد إلى الماء وصاد إلى
هاد كما قد أسفرت شمسكم
لولا معاذيرى لحياكم
كونوا هناكم مورد الصادى
علم لمن يطلبه هاد
بساطع فى الجو وقاد
منى مطيفاً رائح غاد
فإن أكن أوفدت شعري لكم
إلى اللقاء المرتجى فى غد
فذاك عندى خير إيفاد
تحيتى للحفل والنادى^(١)

(١) هذه الأبيات هى تحية صاحب الديوان إلى مهرجان الأدب الذى يقيمه أدباء السودان مرة فى كل عام .

فى عالم الذكرى

ثلاث عشرة حجة (١)

مررت بنا الأيام وثبنا	سلمًا كما شاءت وحربا
لا أحسنت حربا ، ولا	فى السلم طاب السلم غبًا (٢)
ضمنت لجيشيها معًا	غضبًا كما اشتها وغلبا
فإذا الحسود أثقلت	أو أدبرت فاخلق نُهبى
العام من أعوامنا	يحوى - جزاء الله - حقبا
وثلاث عشرة حجة	قلبت طباق الأرض قلبا
سلها عن الدنيا وما	صنعت بها شرقًا وغربًا
سلها عن الوادى وما	صنعت به دفعًا وجذبًا
لا ضمير بالماضى إذا	دار الزمان فطاب عُقبى

فألاً من الذكرى وكم	فأل طوى فى الغيب حُجبًا
وهداية منها وقد	تهديك فى الظلماء قطبا (٣)

يا سعدُ يومك فاستجب	قلبًا لمن يدعوك قلبا
جرّد عزمك التى	أغنت عن الصمصام غربا (٤)
وابعث نصيحتك التى	أغنت عن الترياق طبيا

(١) أُلقيت من محطة الإذاعة المصرية فى ذكرى وفاة سعد ، سنة ١٩٤٠ .

(٢) الغب العاقبة .

(٣) إشارة إلى نجم القطب الذى يهذى فى الظلام .

(٤) حدا .

وانشـر فرائدك التـى	أغنت عن العقيان كسبا
هذا نذير الشر هبـا	والى حمى مصر اشرا
وسرت إلى إفريقيـا	عدوى الجهالة من أوربا
طمعوا بحوزة أمة	ظنوا لها الغفلات دأبا
إن قليل لا خطر غفت	عيننا وتاهت عنه لبـا
أو قليل لا طمع فلا	طمع وقـرت مصر سربا
أو قليل يا أم انهضى	نهضت وراحت مصر تأبى
تجرى المخاوف حولها	وتخاله الأمن استتبـا

* * *

ياسعد أنت إمامها	فاهتف بها ملا وشعبا
صدع الشقاق صفوفها	وجمعتها بالأمس حزبا
فاجمع جوانب رأيها	شعبا على الحسنى فشعبا
قل أنتمـوا على يدا	من عابدى الإنسان رهـبا
ذلوا فلما استرسلوا	تاهوا ^(١) بـقيد الذل عجبـا
وإذا أتوا عدد الحصـى	فرمـالكم أوفى وأربى
جسـد من الصحراء أغلى من	جميم الـروض تربـا
ظمـان يشرب كل من	يغرى بكم أكلا وشربـا

* * *

وقل استعدوا واسلكوا	فى مـفرق الحـدين دربا
لا تصـفـروا هولا ولا	تستكبروا الأهوال رعبـا

(١) تاه يتيه : زها واختال .

وتبينوا أين الفريق
دار الذين سببتهم
ضبنوا بمصر على العدى
وحذار دعوى معشر
لا رحمة عرفوا ولا
القدوة العليا لهم
عقدوا على البغى العرى
الحر فاتخذوه صحبا
حرية - هيهات تسبى
وعلى الذى يحتال خبا
لم يؤمنوا بالحق ربا
عرفوا لغير الشر حبا
وحش على العدوان شبا
تبت يد الباغى وتبا

يا آل مصر تذكروا
إنى استعمرت بيانه
إلا اللباب فلانى
سعد إذا أمضى مضى
سعدا ففى التذكار قربي
فعلى إن قصرت عُثْبَى^(١)
فى الرأى ما أخطأت لبا
وإذا دعاه الهول لبي

تحية زعيم راحل^(٢)

أكبرت فى غيب الزعيم محمد
حجب الردى عنا بشاشته ولم
هيهات ينتقص الزمان مجادة
فخر الصعيد ، وفخر مصر جميعها
من يُرْسِلُ المُثْنى عليه ثناءه
من كان يكبر حاضرا فى المشهد
يحجب بشاشة ذكره المتجدد
للسيد بن السيد بن السيد
بالرأى ، والخلق القويم الأيد
مسترسلا فى القول غير مقيد

(١) معنى البيتين : أنى استعمرت بيان سعد ، فإن قصرت فى هذه الاستعارة فالعتب على . أما لباب المعنى فلا تقصير فيه ، لأننى لم أخطئه .

(٢) ألقى بقاءة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

جمع القلوب على المديح وإن مضت

نهجين بين مصوب ومصعد (١)

لم تُقَضْ في هذى الديار قضية ومحمدٌ بما قضوه بمبعد
مِلءُ الندى وإن تطامن دقة كم دقة شحذت مضاء مهتد



في دارة الفلكى قبلة كوكب يعلو على رصد المنايا الرصد
تطوى المغارب جرّمه ، وشعاؤه متألّق في أوجه لم يخمد (٢)
كبرت مطلعته ، ولم يك طالعي في كل حين عنده بالأسعد
ورأيته أقصى وأقرب رؤية فإذا البروج لكوكب متوحد
مهما اختلفت حياله لم يختلف سمت السماء ولا علو المقصد
متحرّز بما يعاب كأنه متقيّد المسعى ، ولم يتقيد
شفت سرائره ، فكل سريرة فيه تضيئك من سراج موقد
فإذا عهدت المحض من عاداته لم تلق يوماً منه ما لم تعهد



عزّ الكنانة فيه فهي فجيرة تبلو الكنانة في الضمير وفي اليد
ما في مروءات الشعوب مروءة إلا رعته بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه بين المحافل دون ما لم يُشهد
ومعاهد التعليم بين مشجع للعاملين بها ، وبين مزود
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ سرداً ، فعدد ما بدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هدايةً للمهتدين ، وقدوة للمقتدى

(١) المصوب : النازل ، وعكسه : المصعد .

(٢) الجِزْم : الجسم ووزنه والأوج : الذروة العليا .

وصراحة الأخلاق ما اشتملت على

مستغلق فيها ، ولا متأوّد (١)

والعزة الشماء إلا أنها
وسياسة الوادى ، ولم يك رابحاً
وعزيمة لا تكره الشورى وإن
شيم وآلاء إذا ما استفردت
كالشاهق المخضر لا كالجلمد
منها سوى الشجن المقيم المقعد
كانت لتكره حيرة المتردد
كالقطب ، عزت فى ازدواج الفرقد

عز الكنانة والعزاء ليعرب
كم زاد عنهم والخطوب بمرصد
للحق ، لا لخبیثة مطوية
ولنصرة الإسلام لا لعصابة
سمح على ما فيه من عصبية
لا استطاع على الخصام عناده
من اكسُفورد ، ولو غناه معشر
فيه محافظة ، وفيه طرافة
ورث الحمية كابرًا عن كابر
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما
فإذا بكت مصر فغير ملومة
ما بين متهم قومه والمنجد (٢)
والشمل بين مشرد ومبدد
تلقى العداة الرابضين بموعد
تسعى إلى الإسلام سعى الفساد
سهل ، وإن أعيا قوى التشدد
وعليه تعويل الأخ المتودد
للأزهر المعمور لم تستبعد
وأراه فى الحالين غير مقلد
والأريحية منجداً عن منجد
سقىء من أصلية أعذب مورد
وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

رحم إله محمدًا وأثابه
كان السبيل السرمدى سبيله
فى خلد الباقى ثواب مخلد
فعليه رضوان الإله السرمد

(١) معرج . (٢) المتهم : النازل للوادى ، والمنجد : الصاعد إلى الهضبة .

على قبر إبراهيم^(١)

«... إنا لمحزونون عليك يا إبراهيم ، وإن ما أنا قائل لأيسر ما
يقال فى هذا الموقف الأليم...» :

يا قبر إبراهيم مالى	بالبيان هنا يدان
بل فيك تنطلق العيو	ن وفيك ينعقد اللسان
ما كنت أحسب أننى	ألقاك فى هذا المكان
يا من حملت إليه أكر	م ما يعز ، وما يصران
جثمانك العف الطهو	رو قلبك الجرم الحنان
وجبينك السمع الذى	ما هان قط ، ولا أهان
وعزيمة لم يثنها	غير الأمانة من عنان
حزنى عليك أبا خليل	ليس بمحوه الزمان
وجميل ذكرك فى فمى	وجميل صنعك فى الجنان
ماذا أقول ؟ ومن يعين	على رثائك ، أو يعان
أغناك فضلك ناطقاً	بالصدق عن نطق البيان
فعليك سابغ رحمة	ونعيم خلد راضيان
وسلام ربك عاطراً	وسلام قومك مجمعان

(١) ألقيت على قبر السرى الكبير إبراهيم عامر باشا يوم وفاته ، وكان - رحمه الله -
مثلاً لعلو الهمة ومكارم الأخلاق .

أه من التراب^(١)

أين فى المحفل «مى» يا صحاب ؟
عودتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناح
مستجيباً حين يُدعى مستجاب
أين فى المحفل «مى» يا صحاب ؟

سائلوا النخبة من رهب الندى
أين مى ؟ هل علمتم أين مى ؟
الحديث الحلو واللحن الشجى
والجبين الحمر والوجه السنّى
أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟

أسف الفن على تلك الفنون
حصدتها ، وهى خضراء ، السنون
كل ما ضمته منهن المنون
غصص ما هان منها لا يهون
وجراحات ، ويأس ، وعذاب

شيم غر رضيات عذاب^(٢)
وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاء المعى كالشهاب

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة : مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

(٢) جذاب بكسر العين : جمع عذبة .

وجمال قدسى لا يعاب
كل هذا فى التراب . أه من هذا التراب

كل هذا خالداً فى صفحات
عطرات فى رباها مثمرات
إن ذوت فى الروض أوراق النبات
رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب

من جناها كل حسن نشتهيه
متعة الألباب والأرواح فيه
سائق مئيز من كل شبيهه
لم يزل يحسبه من يجتنيه
مفرد المنبت معزول السحاب

الأقاليم التى تُنميه شتى
كل نبت يانع ينجب نبستا
من لغات طوّفت فى الأرض حتى
لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا
وحواها كلها اللب العجاب

يا لذاك اللب من ثروة خصب
نير يقبس من حس وقلب

بين مرعى من ذوى الألباب رجب
وَعَنَى فيه ، وَجُودِ مستحب
كَلَمًا جاد ازدهى حسنًا وطاب

طلعه الناضر من شعر ونثر
كرحيق النحل فى مطلع فجر
قابل النور على شاطئ نهر
فله فى العين سحر أى سحر
وصدى فى كل نفس وجواب

حى «مَيَّأ» إن مَنْ شيع ميا
منصفًا حيا اللسان العربيا
وجزى حواء حقاً سرمديا
وجزى مَيَّأ جزاء أريحيا
للذى أسدت إلى أم الكتاب (١)

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذى صاغته طبعًا واكتسابا
والذى خالته فى الدنيا سرايا
والذى لاقت مصابًا فمصابا
من خطوط قاسيات وصعاب

(١) أم الكتاب هى اللغة العربية .

أُتْراها بعد فقد الأبوين
سلمت في الدهر من شجو وبَيْن
وأسى يظلمها ظلم الحسين
ينطوى في الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كالشمع المذاب

أُتْراها بعد صمت وإباء
سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كل ما فيه رياء
وعداء كل ما فيه افتراء
وسكون كل ما فيه اضطراب

رحمة الله على «مى» خصالا
رحمة الله على «مى» فعلا
رحمة الله على «مى» جمالا
رحمة الله على «مى» سجالا
كلما سُجل في الطرس كتاب

تلكم الطلعة ما زلت أراها
غضة تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضواء في سناها
وفروع تنهادي في دجاها
ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

غاب والزهرة تؤتى الثمرات
ثمرات من تجارب الحياة
خير ما يؤتى حصاد السنوات
بعثرتهم الرياح العاصفات
ورمتهم تراباً فى خراب

رُدْ ما عندك يا هذا التراب
كل لب عبقري أو شهاب
فى طواياك اغتصاب وانتهاج
خلقاً للشمس أو شم القباب
خلقاً لا لانزواء واحتجاب

ويك ! ما أنت براد ما لديك
أضيع الآمال ما ضاع عليك
مجد «مى» غير موكول إليك
مجد «مى» خالص من قهضتيك
ولها من فضلها ألف ثواب

عام محمد (١)

جَدَّدَ العهد بعد عام محمد تلك ذكرى على المدى تتجدد
خلقاً لا يزال قدوة جيل بعد جيل ، أخلق به أن يخلد

(١) ألقى فى الذكرى الثانية بعد انقضاء عام لوفاة المغفور له محمد محمود باشا رحمه الله .

كلما عده الكرام تعدد
كثمار الفردوس هيهات تنفذ
إن تقضى الزمان لم يُتفقَد
عس ليل سمعت : أين محمد؟
أين من كان أمة وهو مفرد
وله فى ذؤابة المجد مسند
فى مغيب من الوداد ومشهد
ولكل من دهره ما تعود
صان فى جيده عرى ما تقلد
صدع العزم أيديا (١) فتبدد
والطوايا فى وصفه تتوحد
نتقيه جندي مصر المجدد
منهم فى جواره غير مبعد
هو فى كل مسمع يتردد
لا يرى قاصداً ، وإن كان يُقصد
وبعيد نراه غير مجسد (٢)

بل طراز من المكارم باق
ومعان غراء هيهات تُخصى
إنما يذهب الزمان فقيداً
ليس يُفنى الزمان من كل ما عس
أين من كان رحمة وهو بأس
أين من كان للمساكين عوناً
أين من كان مئنة المتمنى
أين من عود الإباء صبيهاً
أين من كلما تقلد امراً
أين من كان مرجع القوم فيما
أين من كان قولهم فيه شتى
أين من كان قائداً وهو فيما
سألوا أين أين ؟ وهو قريب
هو فى كل معهد يترأى
هو فيهم وقد تغيب عاماً
رب دان مجسد لا نراه



مصر يا أمة الخلود المشيد
أنت فى نعمة وخير عميم
لك فى الذكريات كنز رجاء
والوفاء الذى رسا وتوطد
ما تعهلت خير ما يتعهد
أبد الدهر بابيه لا يوصد

(١) صدعه أي حطمه بددا وشتته وبعثره .

(٢) رب قريب ملموس لا يرى لتفافته ، ورب بعيد غير محسوس نراه للمحاجة إليه ولأهميته .

فاذكري الغابرين وادخريهم
 إنهم مهتدون الطريق ولولا
 اذكري كلما بلغت زهيدا
 واذكري كلما بلغت عظيما
 إن ما ضياء كان بالأمس ظلما
 والذي في يديك كان سرايا
 وارقبى العالم المظل علينا
 الحروب التى تضج وغاها
 إننا فى يديه لعبه لاه
 ما مضى من زماننا أو مياتى
 الجنين الموعود لا تجهلوه
 هو حى ، إن لم يكن قد تسمى
 لفرار ينضى وعزم يشدد
 خطوهم فيه لم يكن بالمهد
 من أمانيك أنه كان أزهد
 أن جهد المصرى فى المجد أجهد
 وما ابيض كان بالأمس أسود
 زمنا ثم صار يُجنى ويحصد
 من غد . إنه جنين سيولد
 هى نجوى مخاضة تتصعد
 إن جحدناه أو حسبناه يُجحد
 فى يدى ذلك الجنين سيحشد
 يا بنى مصر فھر للجهل مُرصد
 باسمه فى قرابه فكأن قَدْ (١)

فاجمعوا غدة من الأمس تُرضى

واجمعوا غدة من الغد تُحمد

أنتم فى كنانة الله أهل
 ولكم من صيانة الله شروى
 كل حق لكم فغير مضاع
 أن تصدوا السهام وهى تسدد
 ما تصونون من فخار وسؤدد
 ما رعيتم حقاً لمثل محمد

(١) «كأن قد» تعبير معناه أن الأمر كأنما كان وتم .

الشهيد معاوية

... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السوداني النابغ
معاوية محمد نور ، وقد لقي نصيباً من سقامه وعوجل - رحمه الله
- فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل
كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ،
عوض الله الأدب فيه خير العوض ، وعزى الأدباء أحسن العزاء :
أجل هذه ذكرى الشهيد معاوية

فيا لك من ذكرى على النفس قاسية

أجل هذه ذكراء لا يوم عرسه	ولا يوم تكريم ، وديناء باقية
فما أقصر الدنيا التى طول الضنى	أصائله فيها ، وأشقى لياليه
وما أضيع الآمال آمال من رأوا	مطالعه فى مشرق النور عالية
ومن أيقنوا أن الهلال الذى بدا	على الأفق أحرى أن يعم نواحيه
بكائى عليه من فؤاد مفرج	ومن مقلة ما شوهدت قط باكية
بكائى على ذاك الشباب الذى نوى	وأغصائه تختال فى الروض نامية
بكائى على ما أثمرت وهى غصة	وما وعدتنا ، وهى فى الغيب ماضية
فضائل منها نخبة أزهرت لنا	لما ، وأخرى لم تزل فيه خافية

تبينت فيه الخلد يوم رأيت	وما بان لى أن المنية آتية
وما بان لى أنى أطالع سيرة	خواتيمها من بدتها جد دانية
وأن اسمه الموعود فى كل مقول	سيسمعه الناعون من فم ناعية
أجل هذه ذكراء يا نفس فاذكرى	فجميعتنا فيه ، وما أنت ناسية

أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفى عليه شأبيب^(١) المدامع دامية
إذا قصرت أيام من نرتجبيهم

فيا طول حزن النفس والنفس راجية
ويا طول حزن النفس وهى منيبة

إلى اليأس من عجز بها ، وهى آبية
فيا يوم ذكراه سنلقاك كلما رجعت إلينا ، والضمائر صاغية
ويا عارفيه لا تضيئوا بذكره

ففى الذكر رجمى من يد الموت ناجية
أعيروه بالتذكار ما ضمن دهره
به عيشة فى مقبل العمر راضية
وزيدوا النفيس النزر من ثمراته
بتكرارها فى القلب أولى وثانية
فإن لم تكن فى العد كثيرا فباركوا
معانيها حبا ، ووفوا معانيه
عليه سلام لا يزال يعيده
وبيديه شاد فى الديار وشادية

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر^(٢) ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق فى تاريخه ،
الناقد الأنباء نقد صيارف ،
المستعين على السياسة بالحجى
والحجة العليا التى ما طأطأت
الدارس الأيام درس مجرب
الملبس الماضى لباس الحاضر
الوازن الآراء وزن جواهر
والعلم ، والقلم القوى القاهر
يومنا منتقم ولا لمناظر
يلقاه باطن سرها كالظاهر

(١) جمع شؤبوب ، وهو دفعة المطر .

(٢) هو فقيه الكتابة والصحافة ، المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، صاحب «البلاغ» .

الصابر المزجى الخطوبَ بصبره
 الباذل الدنيا على علم بها
 المستعزّ بوحدة الأسد الذى
 الراسخ الجم الوقار ، بغير ما
 الصامت النزر الكلام بغير ما
 الوادع السهل الطباع بغير ما
 الصاحب المبقى على أصحابه
 الوالد البسر الرفيق بولده
 الشائر الوطنى فى ميدانه
 الصارم الماضى السلاح وعنده
 عرف الحقائق فاستراح جنانه
 ووعى عواقبها فلم يع صدره
 حتى يزلن ، ونعم أجر الصابر
 فى اليسر والإعسار ، بذل مسافر
 يأبى التجمع فى القطيع النافر
 عنت يصيب ملالة من زائر
 حصّر يعيب ، ولا كلاله خاطر
 سلس لباع ، أو مهابة أمر
 ما بين واف منهم أو غادر
 وباله رفق العليم الشاعر
 عجبى له من مستقر ثائر
 بعد ارتداد السيف عتبى عاذر
 من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
 بغضاً لمعتقد ولا لمكابر

علمى به علم المطالع زاده
 كم مر من يوم ضحكوك بيننا
 خضنا الحياة معاً على علاتها
 وجرى يراعانا (١) معاً فى حلبة
 ذكراه والأيام عابرة بنا
 ذكرى القشيب من الشباب تزينها
 عهدان من عمرين لو نسجا معاً
 علم على بعد ، وعلم معاشر
 أو مر من يوم عبوس كاشر
 متلاحقين مع الشباب الباكر
 عزت على غير الطمر الضامر
 نعم العتاد لذاكر ولعابر
 ذكرى المشيب من الجهاد الظافر
 لم تدر أيهما مكان الآخر

(١) أى : قلمانا .

يا يوم منعاه سبقت بمنذر
يوم لمست النحاس قبل صباحه
ومشى النهار إلى منقبض الضحى
خُيرت فيه فحين زالت حيرتى
بذهاب نابغة ومصرع غالب
وفجیعة لا كالفجائع فى أخ
تمضى السنون وفى الصحائف صفحة

تبيض فخراً ، وافتقاد محابر
إلا بياض جبينها المتباشر
ثوب الحداد من البياض الشاغر
فى الشرق تتلى بعدهم بنظائر
يُذرى الدموع على عزيز نادر
وفى الحقوق لحاضر ولغابر
حق له ذكرى الثناء العطار
فيه «البلاغ» لقارئ ولذاكر
ما كان خط مداده فى طرسها
أسفى عليها وهى لابسة له
وعزیزة للنابغین نظائر
فلماذا بكى الباکی علیه فإنما
وإذا جزیناه الوفاء فبعض ما
إن الذى حفظ العصور بذكره
وتراث عبد القادر الباقي لنا



هنا وهناك

تفسير حلم

مهداة إلى صحيفة النيل الغراء بالخرطوم

تفسير حلمي بالجزيرة (١)	وقفتى فى القرن
حلمان حظهما خيا	لا دون حظ الأعين
ما دمت بينها فما	أنا سائل عن مسكنى
وإذا التذكر عاد بى	عطف الجديد فردنى
يا جيرة «النيل» المبا	رك : كل نيل موطنى
وله سمى فى الصحا	فة معرب لم يلحن (٢)
حيث فيه سميه	وحملى فيه مأمنى

صوت السودان

صوت (٣) من السودان أسد	معنى بمصر فسرنى
تهفوله الأسماع صا	غية ولم يستأذن
فيه بشاشة وامق	ومبشر ومؤمن
لولا حفاوته الكريمة ما علمت بأننى (٤)	

(١) إشارة إلى جزيرة مصر المشهورة ، والمقرن هو حديقة بالخرطوم فى موضع الاقتران بين النيلين .

(٢) السمى هو من يحمل الاسم نفسه ، ويقصد أن لنهر النيل سميا فى الصحافة هو صحيفة النيل .

(٣) إشارة إلى صحيفة «صوت السودان» الغراء من أكبر صحف الخرطوم .

(٤) هذا الوصل لا يرضاه العروضيون ، ولا لجرى على مذهبهم فيه .

فأرقت من مصر الجديدة ذات يوم مسكنى
شكراً له صوتاً تبين من لسان بين
مستلهم لغة القلوب ب مترجم بالأعين
شمل العروبة كلها وسرى إلى فخصنى
ماذا أقول وقد سبق ت بكل قول ممكن
قدم العهد أحب إلى من بدعة المتفن
من كان ديدنه الصنا عة فالسليقة ديدنى

شعر الأسود

كم هازل بالشعر جهده
يهذى به ويعاف جده
ما الشعر للنسناس وحده
كم ألهم التبيان أسده

القمر والظلام

لا أوثر القمرء فى حسنہا على الدجى ، والطرف فيه يحوم
سناك يا بدر يرينى الثرى وظلمة الليل ترينى النجوم

صداح الأثير^(١)

ملاً الآفاق صداح الأثير لا فضاء اليوم . بل صوت ونور
لك من كل فضاء شاسع حيثما يمت ، داع وبشير
ما صفاء الجوان فتشته غير أصداء حوالبك تمور
لجَبَ لكنَّهُ مستأذنٌ يطرق السمع بسلطان قدير

أو هي الأرواح إن قلت احضري

حضرت ، أو شئت أعيها الحضور

قيل أمواج . فقلنا وبحور من معان وبيان وشعور
تركب الأبواب فيها سفناً سبّقا بين طويل وقصير
حملت من كل زاد ، وقَرتُ كل غاد ، ووعت كل أثير^(٢)
ولها في كل يوم مدد يلتقى الأول فيه والآخر



كان فرعون له مجلسه وهو ذو الصرح المعلى والسرير
ولنا في كل دار مجلس يسع العالم أيان يدور
هو ناد لك ، أو مدرسة أو مجال سبق ، أو ملهى السرور
غلب الوهم الذى زيناه فى الأساطير خيالاً مستطير
دعوة المارد إن قيست إلى دعوة المذيع ظن وغرور
بورك العلم لعمري إنه من صفات الله ، والله قدير
ربما أسمعننا فى غده نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

(١) اقترحت محطة الإذاعة المصرية موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(٢) الأثير هنا بمعنى المأثور ، وهو المفضل المنتقى .

مُسْمَعُ الْعَالَمِ فِي عَاصِمَةِ تَسْبَحُ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَتَطِيرُ
لَا يَقْرَأُ الدَّهْرُ إِلَّا مَا دَتَ فَإِنْ سَكَنْتَ فَالدَّهْرُ حَوْلِيهَا قَرِيرُ
بَنَيْتَ حِينًا عَلَى الْبَاسِ وَمَا رَصَدَتْهُ الْيَوْمَ إِلَّا الْمَغِيرُ
جَمَعْتَ أَوْصَالَهَا حَرِيَّةً يَسْتَبْوِي فِيهَا قَلِيلُ وَكَثِيرُ
وَحَصِيمَ الْأَمْسِ مِنْ أَعْدَائِهَا هُوَ فِي مَعْمَعَةِ الْيَوْمِ نَصِيرُ
كُلُّهُمْ ، وَالْأَمْرُ شُورَى بَيْنَهُمْ ، مُسْتَجِيرٌ فِي حِمَاهُ وَمَجِيرُ

عَامَكَ الثَّالِثَ أَمْ شَرَحَ الصَّبَا ؟ أَنْتِ فِي مَهْدِكَ جَبَارُ جَسُورُ
لَسْتُ بِالْحَبُوبِ خَبِيرًا إِنَّمَا أَنْتِ بِالْوُثْبِ عَلَى الْأَفْقِ خَبِيرُ
رَاكِبُ الرِّيحِ إِذَا قَامَ إِلَى خَطْوِكَ الْوَانِي سِلْحَفَاةُ كَسِيرُ
حَدَّثَ الدُّنْيَا حَدِيثَ الضَّادِ مِنْ سَاحَةِ رُتُلٍ فِيهَا شِكْسَبِيرُ
وَأَعَدَّهُ سَارِيًا حَيْثُ سَرَى زَمَنًا فِي مَغْرِبِ الشَّمْسِ الْمَنِيرُ
طَالَمَا رَنْتَ عَلَى أَفَاقِهِ نَغْمَاتٍ مِنْ نَظِيمٍ وَنَثِيرُ
مَنْ رُبَا أَنْدَلَسَ حِينًا وَمَنْ قَمَمَ الْأَطْلَسَ حِينًا وَالثَّغُورُ
هَاتَهَا فِي نَسْقٍ مَوْصُولَةٍ يَلْتَقِي «بَيْرُونُ» فِيهَا وَجَرِيرُ^(١)

نَاقِلُ السَّرِّ وَمَا أَعْجَبَهُ فِي رَحَابِ الْكُونِ مِنْ سِرِّ جَهِيرِ
تَسْمَعُ الْقُطْبَيْنِ ضَمْدِينَ كَمَا يَسْمَعُ النُّجُوى سَمِيرًا مِنْ سَمِيرِ
عَصَبِ الْأَنْسَابِ يَا هَذَا الْأَثِيرُ

أَنْتِ فِي الْأَرْضِ ، وَفِي الْكُونِ الْكَبِيرِ
كَلْنَا فِي رَحْبِهِ عَائِلَةٌ حِينَ تَسْرِي أَنْتِ أَوْ حِينَ تَسِيرِ

(١) هُوَ الشَّاعِرُ الْإِنْجَلِيزِيُّ الشَّهِيرُ الْلُورْدُ بَيْرُونُ - وَجَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ الشَّاعِرُ : الْأَمَوِيُّ الشَّهِيرُ .

تنظم القريبى على طول المدى من ذرى الشعرى إلى قاع البحور
عجبنى من عالم تجمعه أذن - كم فيه من قلب نفور !
قل حديث الحرب والسلام معاً رب حرب هى للسلم عبور
أنت بالصدق كفيل أن ترى أم الأرض إلى الحق تصير
يملك اللب حليفاً راضياً من له فى دولة السمع سفير

إلى «المستمع العربى» بلندن (١)

دعوت إلى حق وأسمنت واعياً فحييت مدعوا ، وحييت داعياً
وأثرت للعرب اللسان الذى به تنزل وحي الله للعرب هادياً
وناديتهم من جانب الغرب مثلهم فتى عربياً واضح الصوت عالياً

أصاخوا فلم يستنكروا القول عجمة

ولم يسمعوا منه لساناً مداجياً وإذا الحر ناجى الحر فليلق قوله
صريحاً ، ولا يومئ إليه موارياً على ذاك يمضى «اللندنى» محدثاً
فيصغى إليه «القاهرى» موالياً ويصغى ابن بغداد إليه محدثاً
وينقل عنه شعب مكة راوياً

وفى جلق (٢) واع ، وفى القدس شاخص

وفى برقة شاد يجاوب شادياً حقائق فى شرق البلاد وغربها
يساجل فيها الحاضرون البواديا (٣) يؤلف شملهم على البعد أنهم

أبوا أن يطيعوا فى سوى الحق راعياً

(١) اذيعت فى مطلع العام الثانى لمجلة «المستمع العربى» التى تصدرها محطة الإذاعة العربية بالعاصمة الإنجليزية .

(٢) اسم من أسماء دمشق .

(٣) الحاضرون هم سكان الخواضر .

وَأَنَّهُمْ لِلظَّالِمِينَ بِمِصْرٍ
وَأَنَّ الَّذِي أَوْصَىٰ بِهِ الشَّرْقُ بَادِئًا
فِيَا لَكَ مِنْ حُرِيَّةِ جَمْعَتَهُمَا
وَمَا عَصَبَةُ الْأَحْرَارِ إِلَّا أَخَوَةٌ
فَلَا جَاوِرَ الشَّرْقِ أَمْرٌ يُضْطَفَىٰ لَهُ
وَلَا زَالَ هَذَا الشَّرْقُ بِالْحَقِّ أَمْرًا
طَغَاةً عَلَىٰ مَنْ يَحْكُمُ النَّاسَ طَاغِيَا
تَوَاصَىٰ بِهِ الْأَحْرَارُ فِي الْغَرْبِ تَالِيَا
إِلَىٰ نَسَبِ عَالٍ عَلَيْهِ تَلَاقِيَا
إِذَا اشْتَرَكَ الْقُطْبَانِ فِيهَا تَأْخِيَا
عَدُوًّا لِأَمَالِ الشُّعُوبِ مَعَادِيَا
وَلَا زَالَ هَذَا الشَّرْقُ بِالْحَقِّ نَاهِيَا

* * *

إِلَى «مَسْمَعِ الْعَرَبِ» الْكَرَامِ تَحِيَّةٌ
أَرَىٰ لَكَ فِي سَنِ الْفُطَامِ شَبِيَّةٌ
وَالْمَحْ مِنْ بَشْرَاكَ طَالِعٌ مَوْلِدٌ
سَبَقَتْ رُكَابَ النَّصْرِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا
وَأَتَمَّتْ حَوْلًا وَاحِدًا فَتَحَوَّلَتْ
أَحْيَىٰ بِهَا عَامًّا مِنَ الْعُمُرِ ثَانِيَا
تَسَابَقَ فِي الْعَامِ الْقُرُونُ الْخَوَالِيَا
تَلَاقِيَهُ أَبْرَاجُ السَّعُودِ حَوَانِيَا
خَفَفَتْ لِتَلْقَاءِ عَلَى الْقَرَبِ أَتِيَا
مَخَافُوفَ أَقْوَامٍ فَلَاحَتْ أُمَانِيَا (١)
فَإِنْ شَتَّ كُنْ فَأَلَا ، وَإِنْ شَتَّ هَاتِفَا

إِذَا أَسْمَعَ الضَّلِيلَ أَقْبَلَ نَاجِيَا

تَبَلَّيْتُ الْأَسْمَاعَ حِينًا ، وَأَطْبَقْتُ
وَهِيَّاتِ مَا كَانَ الرَّجَاءُ مَغْيِبًا
يَقِينِي الَّذِي لَمْ يَطْرُقِ الشُّكُّ سَمْعَهُ
وَأَنَّ الَّذِي خَالَوَهُ صَرَعَةٌ هَالِكٌ
وَقَدْ هَجَرَ الْغَافِي الْمَضَاجِعَ فَانْظُرُوا
تَوَثَّبَ لِلْعُدْوَانِ فَلِيَمْضِ وَاثِبًا
صُرُوفُ قَضَاءِ ظَنِّهِ الْقَوْمَ قَاضِيَا
لِمَنْ رَامَهُ ، كَلَا وَلَا الْأَمْرَ خَافِيَا
سَحَابَةٌ يَوْمَ أَنْ لِلْحَقِّ وَاقِيَا (٢)
نَذِيرٌ إِذَا مَا أَشْتَدَّ أَيْقَظَ غَافِيَا
عَلَى السَّاهِرِ الْجَهْدَ الْمَكْتَمَ بَادِيَا
عَلَى غُرَةٍ مِنْهُ لِيَنْقُضَ هَاوِيَا

(١) اتفق في إبان الاحتفال بعام المجلة الثاني أن تحولت كفة النصر إلى جانب الدول الديمقراطية .

(٢) كانت أحاديث العقاد دواما تبشر المحور النازي بالهزيمة ، حتى وهو في أوج انتصاراته .

إلى مسمع العرب الكرام نبوءتى فسلنى غداً عنها ، وما أنت ناسيا
سيدبر شر كان بالأمس مقبلا ويقبل خير كان بالأمس نائيا
ويصعد نجم العرب فى الشرق ساطعاً

ونجم حليف العرب فى الغرب ساطيا
كفيلى بما أنبأت صدق رويّة ترى الغد من مستقبل الدهر ماضيا
فلا انخدعت ، والحمد لله ، ضلةً ولا خدعت يوماً وفيّاً موافيا
غداً ، فانتظرنى باليقين إلى غد وهاك التحايا قبله والتهانيا

بين التعب والراحة

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد
ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد !
ما ابتغاء المزيد من يوم أمن عاطل لا يزاد بالتعداد
فالزمان المريح تكرر شىء واحد وأطراد حال معاد

هذا هو التاريخ

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحي
هذا هو التاريخ لو أننى صورته يوماً على المسرح !

النقد

أعطيتهم لؤلؤاً حراً فحين رأوا صغيرةً منه صاحوا : أى إفلاس !
وجادهم بالخصى غيرى فحين رأوا خريزةً فيه قالوا : أكرم الناس

الظن

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا
وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألفَ عين ، وإن تشأ
فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

رأى الناس

من عود الناس خيراً طالبوه به كأنه الدين يُلوى بالمعاذير
ومن تعقبهم شراً فأمهلهم يوماً تقبل منهم أجر مشكور
لا رأى للناس فى نفع ولا ضرر وما لهم قط من حكم وتقدير

بين هم وسامة

أتهمم بالدنيا ؟ فتلك حبيبة إليك فما تخليك يوماً من الهم
أليس لها هم ؟ فهاتيك خلة (١) صداقتها أضنى من الهم للجسم
وما بين هم دائم أو سامة خيار لختار وحكم لذى حكم
فخذها على علاتها والى عيشها شقياً بعلم ، أو شقياً بلا علم

(١) الخلة هى الخلية والصديقة .

الطيش والحزم

الطيش أن تعمل ما تشتهى .. وقد يساوى النفع فيه الضرر
والحزم أن تحذر ما تتقى وقلما يغنيك فيه الحذر
كفوآن إن وازنت حظيهما ...

يا صباح . فاختر منهما ما حضر !

يا كتيبى

فى ختام الجزء الأول من الأجزاء الأربعة المجموعة فى مجلد
واحد قصيدة بهذا العنوان ، جاء منها هذه الأبيات :

يا كتيبى أشكوا ولا أغضب	ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتيبى أورثتنى حسرة	هيهات لا تُنسى ولا تذهب
يا كتيبى أبست جلدى لضى	لم يغن عنى جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها	سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى الملح تحت الدجى	جماجم للوتى بدت تخطب ^(١)
والناس إما غارق فى الكرى	أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه	فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله	بيومه الماضى وما يُعقب
ينتفع المرء بما يقتنى	وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى	وخبرة صاحبها متعب

(١) الكتب فى الغالب موتى يتكلمون ، فإذا قرأت فيها فكانك تصفى إلى جماجم
تتكلم .

وختمت القصيدة بهذا البيت :

لا رحم الرحمن فيمن مضى من علم العالم أن يكتبوا

والقصيدة الجديدة في هذا الديوان تشير إلى تلك الأبيات بما

ورد فيها من المقابلة ، وهذه هي :

شكوتها والعمر في فجره	فكيف بي لما دنا المغرب ؟
لما دنا المغرب صالحتها ...	تلك التي تُشكى ولا تغضب
تلك التي قلت لها مرة	والقلب دام والحشا ملهب
«يا كُتبي أورثتني حسرة	هيهات لا تنسى ولا تذهب»
«يا كُتبي ألبست جلدي الضنى	لم يغن عني جلدك المذهب»
فالآن يا كُتبي تعالي لمن	أخبرتُ شيء عنده طيب
ما أنت شر من عناء المني	وهي التي في صدقها تكذب
ما أنت أقسى من شقاء الهوى	وهو الذي في لهوه يتعب
ما أنت أغلى ثمنًا ، إن غلا	من جواهر يكثر أو يعطب
ما أنت في سكر وفي متعة	أحلى من السم الذي يشرب
ويحك ! إنا نحن من معشر	يسبق فينا «الدور» أو يعقب
غداً سنمسي كلنا ما لنا	في العيش إلا رَفْكُ المُتَرِبِ
فليت لي إذ أنا تحت الثرى	جمجمة ثرثرة تخطب
رهطاً من القراء يرضونني	رضاي عن بلواك إذ أغضب
يا كُتبي ما شئت فلتحسبي	أو شاء قرائي فليحسبوا

عجز أو قدرة

علميني كيف لم تضطربى بين أسماء الأقاليم والأداني
أنا لولا قيت أخرى مرة

خفت أن يخلط باسمين لسانى

الغوانى فى حجاب دائم ... عبث كل سفور للغوانى
قدرة فيهن أم عجز طفى أم هما فى لحظة مجتمعان ؟
من فناء الغيد فى حاضرها نسيها من غاب عنها كل أن

جواب جميل

قال جميل ابن معمر صاحب بشينة :

ألا أيها النوام ويحكمم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟
وأجيب بلسان أحد النوام :

بربك دعنا راقدين فلو درى بنا الحب لم يرقد لنا أبداً جنب
وسل راقدى الأجداث ^(١) عنه فإنهم

مجيّبوك عن علم بمن قتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

(١) الأجداث هى القبور .

وقد أجيب بذلك اللسان :
أفق مزعج الموتى فلو كنت قادرًا
على أن تهبَّ اليوم من صرعة هبوا
ولست إلى أن يُسمعَ الصورُ سامعًا
هنا سر مقتول يبوح به صب !

الفقير

ثروة المرء بما يطلبه لا بما يملكه بين يديه
مالك الأرض فقيرٌ إن رعى مطلبًا يطمح بالعين إليه
والذى أفقر منه طالبٌ وُدُّ قلبٍ ماله وُدُّ لديه

ويلنا

من غلا عنده السرور رخيص كاسد السوق فى كبار الأمور
والذى يستحق كل سرور عجبًا يزدري بكل سرور !
إن غلا عندنا النعيم رخصنا ويلنا ويلنا بدار الغرور

سيان

إن قيل بالحق أو البهتان
دعهم يقولون ، وقل سيان !
سيان مهما افترق الضدان
سيان مهما اختلف الخصمان

سيان ألف هي أو ألفان
سيان بيد هي أو مغان (١)
سيان نور أو ظلام فان
سيان من يلهو ومن يعانى
قلهنا ببرهان ولا برهان
وأنت أنت أحكم الزمان
وإن تصدوا لك بالنكران
أو ضحكوا سخرًا فقل سيان !

*** أتمنى

أتمنى يومًا لو أن حياتى	تنقضى كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمنى	لو تعلمت كيف أن أتمنى
أتمنى لو علمتنى الليالى	باطل الأمر قبل أن أتمنى
منية لو تحققت لتساوى	ما تملكته وما أتمنى

الصِّرفُ والمزيج

رب ما بالننا نغصُّ بأحلى	ما شربنا وفيم يا رب يحلو ؟
رب والعيش فيه حلو ومرُّ	لم لا بمحضان والأمر سهل ؟
لم لا يصفوان فالشهد شهد	حين يعطى العباد والخَلُّ خَلُّ
إنَّ خلًّا يشوب شهدًا ضلال	ولشهد يشوب خلًّا أضل !

(١) البيد : الصحارى والمغانى : الحداثق .

خداع النفس

يقول وما قضى عجباً فتى يخبط فى حدسه
أىخدع نفسه رجل له عينان فى رأسه ؟
أجل يا صاح : عينان ! وزد ما شئت من حسه
وهل أخدع للإنسا ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود وقاك الله من دسه

كيمياء وصيرفى

قال ابن الرومى :

إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلباً أحاله إنسانا
ولم يقل :

إن للحظ صيرفياً أريباً يقتفى كيمياءه أحيانا

جنة الخيام

رغيفاً خبز ووجه حلواً ، وكأس مدام
وتلك جنة عدن فى مذهب الخيام^(١)

قالوا : ونودى يوماً ما تشتهى فى يديكا
دع مطلباً منه فرداً والباقيان لديكا

(١) عمر الخيام : الشاعر الفيلسوف الفارسى ، وله رباعية بهذا المعنى .

فحار بين رغيف إن فاته مات جوعا
وبين وجه منير إن غاب غابت جميعا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداع مناهأ أفاق وهو غبين

* * *

طال التردد فيها فمال عنها كظيما:
سألت جنة خلد وما سألت جحيما

* * *

قالوا فناده صوت يقول في غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق:

* * *

«أترك جنة خلد تهذى بها يا حكيم
بمطلب إن عداها ترتد وهي جحيم؟»

* * *

بيجو

«... صور كثيرة بقيت فى خلدى من الإسكندرية كأنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ .
وستبقى ما قدر لها البقاء .

وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء ، وذلك هو صديقى «بيجو» الذى فقدناه هناك .

وانى لأدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى ألصق بها الناس ما ألصقوا من مسبة وهوان ، فإن الناس قد أثبتوا فى تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك بصناعة التحقير .. فكم من مبجل بينهم ولا حق له فى أكثر من العصا . وكم من محقر بينهم ولا ظلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار .

وكنت أقدر أنتى سأخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة أشهر الصيف الجديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى مرسى مطروح ، أو فى السلوم ، وأفرغ هناك لتأليف كتابى الذى جمعت له ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين والمحدثين . فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضى أياماً فى القاهرة وأياماً فى الإسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ، ولا عزمتم على اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامى فى

القاهرة وأن أعود إليه كل أسبوع . ولكن المخلوق الأمين الوفى
أرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الإسكندرية وكلما
رجعت منها . لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة
الثانية . وزاده إصراراً على الصيام أننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ
أحمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى «فى عالم
السدود والقيود» .

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يكثّر الصلاة
والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يَقْرُبُهَا إلا على مسافة أشبار .
ويبجو مخلوق حساس مفرط الإحساس ، ما هو إلا أن تبين النفور
من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى ، فكنا إذا
تعمدنا تخويفه وزجره نادينا : «يا شيخ أحمد» ! فإذا يبجو تحت
أقرب كرسي أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أن
الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد .

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن
الصيام فى غيابنا أصبح يبجو من ركاب السكة الحديد المعروفين
فى الذهاب والإياب . وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الإسكندرية
ومن الإسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع . وشاعت له نوادر فى
معاكسته للموظفين ومعاكسة الموظفين له يتألف منها تاريخ وجيز .
ثم أصابه فى الإسكندرية ذلك المرض الأليم الذى كان فاشياً فيها
واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة
عليه من مشقة السفر وعلمت أن الأمل فى شفائه ضعيف ،
ولكننى لم أجد مكاناً أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه .

وانى لفى ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب
لحجرتى وخذش يكاد لا يبين . ففتحت الباب فرأيت المخلوق
المسكين قابعا فى ركنه يرفع إلى رأسه بجهد ثقیل . وينظر إلى
نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعته نظرة عين حيوانية أو إنسانية من
معانى الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار . أحس المسكين وطأة
الموت فتحامل على نفسه وخطا من حجرتة إلى باب حجرتى
وجلس هنا يخذش الباب حتى سمعته وفتحت له وهو لا يزيد
على النظر والسكوت .

كان اليوم يوم أحد . ولكننا بحثنا عن الطبيب فى كل مظنة
لوجوده حتى وجد ، وشاءت له مروءته الإنسانية أن يفارق صحبه
وآله فى ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن
مريضه الذى تعلق به وعطف عليه ، ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو
يفارق هذه الدنيا التى لم يصحبها أكثر من سنتين .

سيبقى من صور الإسكندرية ما يبقى وسيزول منها ما يزول ،
ولكنى لا أحسبني ناسيا ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل ،
يقول بها كل ما تقوله عين خلقها الله ويودعها كل ما ينطق به فم
بليغ من استنجاد واستغفار ، كأنه يعلم أنه أقلقنى ولا يحسب ما
كان فيه عذرا كافيا لإقلاق صديقه .

ومن شهد هذا المنظر مرة فى حياته علم أنه لا ينسى ، فإن لم
يعلم ذلك فهو أقل الناس حظا من الخلائق الإنسانية ، لأن البعد
من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيدا من الحيوان . بل
يقربه منه غاية التقريب

هذه كلمة من مقال نشر بمجلة الرسالة الغراء (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨) وفيها ما يصلح أن يكون مقدمة للقصيدة التالية . ولكنها مقدمة تفتقر إلى تنمة من مقال آخر نشر فى الرسالة أيضاً بعنوان «كلبى بيجو» قبل ذلك بنحو عام . وهذا هو المقال :

«... أنا أكتب هذا المقال عن «بيجو» وهو ينظر إلى ثم يذهب ويعود ليطل مرة أخرى ، ولا يدري أنتى أكتب عنه وأشيد بذكره . وكل ما يدريه أنتى جالس فى هذا المكان الملعون الذى يحب كل مكان فى البيت غيره . وهو كرسى المكتب .

ففى كل مكان فى البيت يرانى مستعداً لملاعبته واستجابة نظراته والتفرج على فنونه وألأعيبه وقفزاته . أو يرانى مستعداً للإشارة إليه واستدعائه فإذا هو واثب وثبة واحدة إلى حيث يستوى على مكانه بجانبى ، ويغرينى بملاطفته ومجاملته أن أبذل له الملاطفة والمجاملة وأحييه بعبارات التودد والمساجلة ... ينتظر منى ذلك فى كل مكان إلا كرسى المكتب . فإذا جلست إليه لأكتب أو لأقرأ فهو حائر لا يدري ما يصنع : يدنو من الكرسى إلى مسافة قصيرة ثم يرفع رأسه وينظر ، ثم يعيد النظر كرة أخرى . ولعله يسائل نفسه : ما بال صاحبى لا ينادينى ولا يجيبنى ؟ وما بال عينيه تتجهان أمامه وقلماً تتجهان ناحيتى ؟ فإذا طال عليه التساؤل والترقب رجع أدراجه وغاب هنيهة ثم عاد إلى المكتب يترقب كلمة النداء أو نظرة الاستدعاء أو لمسة التريبت والاحتفاء ، ولا يزال كذلك حتى يئأس ويسأم فيولى وجهه شطر العوبة يتلهى بها أو شغلة أخرى من الشواغل البديعة التى يفرضها على نفسه .

ولا يفرضها أحد عليه ، وأولها حراسة الباب والعواء على من يصعدون السلم أو يهبطونه .

وقد تبعنى اليوم إلى المكتب ونظر إلى قليلاً ثم غادر المكان الملعون يائساً عابساً دون أن يلح فى الانتظار والمناورة . لأنه تعلم بالمرانة الطويلة أن الانتظار فى هذا المكان لا يفيد . وأن الكلب العاقل الرشيد هو الذى يغادر مكان الكتب والأوراق بغير تدبر ولا تأمل ولا إطالة . والحق معه حتى فى آراء الأناسى العقلاء الراشدين .

وقد أردت اليوم أن أدهشه وأخلف عاداته فرفعت رأسى من الورق فى بعض جيئاته وصحت به منادياً : ييجو ! ييجو ! تعال ! إن كتابتى اليوم تعنيك . ألا تريد أن تقرأ ما كتبت ؟ فوجم ولم يكذ يصدق أذنيه . وتردد لحظة ثم قفز إلى الكرسي فالمكتب حيث الورق الذى أخط عليه هذا المقال . كأنه يريد حقاً أن يقرأه ويستطلع ما فيه ، وكأنه لا يفضل بالعقل والرشد أولئك الأدميين الذين يعنيههم ما يكتب عنهم الكاتبون كما ظننته لأول وهلة . ولكنه ما لبث أن أخافنى من أسلوبه فى القراءة والمطالعة .

لأنه هو والتمزيق فى عرفه شىء واحد ، وهل هو بدع فى أسلوبه وهذا شأن كثير من الأدميين الذين أكتب عنهم ؟؟ فنحيته برفق وحملته إلى الباب وأرسلته فى الدهليز وعدت إلى المكتب فأقفلته ، ولا أزال أسمع نباحه يلاحقنى بلهجات تتراوح بين الاستغراب والشكاية والسباب ! .

ويجب أن أعترف للقراء بأن كلبى «بيجو» ليس بكلبى على التحقيق ، ولكنه كلبى فى شريعة الدعوى والاغتصاب . أو هو كلب صديقى العزيز «فيفى» الذى لم يجاوز السنتين إلا منذ شهرين ^(١) . ولا أخاله إلا مطالبى به قريبًا بعد أن زال الموجب لإقصائه وهو انحراف صحته فى موعد التسنين وفيما أصابه على أثر ذلك من مصاب أنقذه الله من خطره الشديد .

والأصل فى المصائب أن تجمع بين الأصدقاء لا أن تفرق بينهما كما افترق فيفى وصديقه بيجو . ولكن اللوم فى هذا الافتراق على صداقة بيجو دون غيرها - أى على إفراطه فى الصداقة لا على تقصيره فيها - فمعاذ الله أن يتهم كلب بخيانة الأصدقاء .

كان بيجو يرى «فيفى» على سريريه ساكنًا من التعب والإعياء فلا يحسب أن شيئًا تغير بينه وبين مولاه . ويقفز إلى السرير ليعرض خدماته التى لا يكل عنها ولا يتوانى فيها وهى الموائبة والملاعبة واصطناع العض والمصارعة ومولاه فى شاغل عن ذلك ، ولكنه هو لن يقبل العذر ولن يعرف شاغلا أهم من تلك الخدمات المرفوضات .

وإذا أقبل الطبيب وصرخ (فيفى) من مقاربتة وجسه وفحصه كما يصرخ جميع الأطفال من جميع الأطباء فما هى إلا لحظة كأسرع ما يكون لمح البصر وإذا بأنياب (بيجو) توشك أن تنغرس فى ساق الطبيب الذى يعتدى على مولاه بما يبكيه ! أما إذا ربطوه

(١) هو موفق ، ابن الأستاذ حافظ جلال وكانوا يلقبونه «فيفى» .

اتقاء لهذه المفاجآت فلا راحة ولا قرار فى البيت كله لا لمولاه
العزیز ولا للنائمين حوله أو الساهرين عليه .

لهذا عوقب (بيجو) على إفراط صداقته بالنفى من جوار مولاه
فى أثناء توعكه وانحراف مزاجه ، ورضيت أنا أن أتولى مؤاساته
وحراسته أيام منفاه حتى تنجلي الغاشية فيعود إلى مأواه .

وما انقضت فترة وجيزة حتى أصبح (بيجو) شخصية من
شخصيات البيت المعدودة . وحتى فرض على نفسه واجبات
وأعمالا لم يفرضها عليه أحد ، ولكنه يغضب ويتذمر إذا أنت
قاطعته فيها أو عوقته عنها ، كأنك تحسبه مخلوقا عاطلا لا يصلح
لعمل ولا يؤتمن على واجب . . . عرف الفرق بين جرس التليفون
وجرس الباب فلا يدق هذا أو ذاك إلا أسرع إلى الإجابة وغضب
من الخادم كلما سبقه إلى غرضه ، فتظاهر بَعْضُهُ والوثوب عليه .

ومن عجائب ذكائه أنه إذا سمع جرس الباب أسرع إلى الباب
ولم يفعل كما تعود أن يفعل حين يسمع جرس التليفون . مع أن
جرس الباب يدق فى المطبخ حيث يكون الخادم ولا يدق فى المكان
الذى يجرى إليه . ولعله عرف أن فتح الباب هو المقصود بدق
الجرس فى المطبخ كلما جرى الخادم لفتحه على إثر سماع دقاته ،
ولكن تفريقه بين الجرسين براعة تشهد له بالقدرة على مزاوله
الأعمال والواجبات .

ومن الأعمال والواجبات التى فرضها على نفسه ولم يفرضها
عليه أحد أنه لا يدع إنسانا ولا حيوانا يصعد السلم إلا أدركه
بنباح الاحتجاج من وراء الباب ، فيعدو أمامى ويعود إلى ولا يزال

يرقص ويتوثب حتى أجزيه على استقباله بالتحية الواجبة والتربيت المحبب إليه . الأجل الطعام يهش لى (بيجو) هذه الهشاشة ويرعاني هذه الرعاية ؟ أنا أود من الباحثين فى طبائع الحيوان أن يراجعوا ملاحظاتهم وأحكامهم فى أسباب التألف والمودة بين الحيوان والإنسان . فإن إطعام الكلب ولا شك سبب من أسباب وفائه وتعلقه بأصحابه . ولكن لا شك أيضاً فى أن الكلاب تفهم للمودة أسباباً غير الإطعام وتذكر معنى من معانى الصلة النفسية ليس مما يرتبط بالمنافع .

وأوضح دليل على ذلك أن (بيجو) يعتبر نفسه تابعاً لمولاه (فيفى) ولا يعتبر نفسه تابعاً لأبيه أو خادم أبيه وكلاهما يطعمه ويلاطفه ويسقيه . أما (فيفى) فهو لا يطعمه ولا يسقيه ولا يتورع عن خطف طعامه إذا ساغ فى مذاقه ، وقد يتبرم به فيضربه أو يقبض على لسانه أو يضع إصبعه فى عينيه ، وبيجو فى كل ذلك لا يقابل الأذى بمثله ولا يفتأ متعلقاً بالطفل أشد من تعلقه بآله وذويه .

فلما زارنى (فيفى) مع أبيه بعد شفائه ونجاته من خطره كان المعقول المنظور أن يخف (بيجو) إلى الأب الكبير الذى يعنى بإطعامه وإيوائه ويشمله بمودته . غير أنه التفت أول ما التفت إلى (فيفى) العزيز دون غيره ، وتهافت عليه يعانقه ويلحس وجهه بلسانه ويثن أنيناً من فرط حنينه وفرحه ، وجهدنا جهداً شديداً فى التنحية بينه وبين مولاه الصغير لفرط ما أرققه بتحياته ومجاملاته . وكنا سبعة منا أستاذ فى علم الزراعة والحيوان وأخ له

أديب جمّ الإطلاع وصديق مهذب من أدباء الموظفين وسيدة إنجليزية وابنها اليافع ووالد فيفى وكاتب هذه السطور . فأتعبنا الكلب الأمين الودود جد التعب ونحن نبعده من هنا فيرجع من هناك على حال من اللهفة والاشتياق تجلب الدمع إلى الآفاق . فماذا بين بيجو ومولاه فيفى من البر والمجارة غير الصلة النفسية التى لا شأن لها بالطعام والشراب ؟ ولماذا يحسب نفسه تابعاً للطفل ولا يحسب نفسه تابعاً لأبيه ؟ إنه لا يفقه أنهم اهدوه إلى فيفى الصغير ليكون لعبته وحارسه وعشيرته ، ولكنه قد يفقه أنه نذّه وقرينه بواشجة الطفولة والملاعبة الصبيانية ، وهى على كل حال واشجة غير وشائج المنافع والطعام والشراب .

ويشبه هذا فى الدلالة على إدراك الخلائق العجماء للصلات النفسية أن (بيجو) لا يطيق (الطاهى) أحمد حمزة ولا يرتاح إلى رؤيته ولا يسمع النداء على اسمه حتى يحسبه تهديداً له بالعقوبة والإقصاء . . . وهو مع هذا يألف فراش المنزل (محمداً) ويهش له ويستريح إلى مصاحبته فى المنزل وفى الطريق . فلم كانت هذه التفرقة عنده بين هذا وذاك ؟! كلاهما يقدم له الطعام ، ويزيد صديقه (محمد) بتجريبه الدواء الذى يتعاطاه لعلاج السعال أحياناً وهو يمقته وينفر منه أشد النفور . غير أن الطاهى (أحمد حمزة) يتحاشى (بيجو) خوفاً من النجاسة فيشعر (بيجو) بجفائه ويلقاه بمثله ، ويحتمل التجريح والغصص من زميله لأنه يحتفى به ويأنس إليه .

ومن إدراكه (للمعانى) الفكرية أنك إذا لمستہ بالعصا وهو غافل

عن رؤيتها فهو لا يبالي ولا يحفل ولا يحسبك غاضباً أو قاصداً لعقابه . ولكنه إذا التفت إليك ورأى أن العصا هي عصا التأديب التى تخوفه بها ظهر عليه الرعب أو ظهر عليه الأسف والتوسل ، كأنه يقرن بالعقاب معنى غير معنى الضرب وألمه ، وهو استياء سيده وإعداده له عدة العقاب . . .

والخلاصة أن (بيجو) مخلوق مفيد ومخلوق أنيس ، وهو أفيد ما يكون فى المكتبة التى يملكها ويستثقل ظلها ، لأننى استفدت على يديه فوائد جليلة وأنا أقرأ بعض الكتب الحديثة فى علم النفس وعلم الاجتماع .

يقول علم النفس : إن التعاطف فى التربية والتعليم أنفع وأنجع من تبادل الأفكار ، وبيجو يؤكد لى ذلك لأننى أرى منه أن الكلاب أسرع تعلمًا من القردة وهى أرفع فى مرتبة التكوين والإدراك . وإنما فاقت الكلاب القردة بسرعة التعلم لأنها عاشرت الإنسان طويلاً فاتصلت بينه وبينها العاطفة وإن لم يتقارب بينه وبينها تركيب الأعصاب والدماغ .

ويقول علماء الاجتماع من أنصار (الفاشية) . إن الغرائز لا تتبدل وإن الحرب والعدوان غريزة الإنسان . فلا فائدة لوعظ الواعظين بالسلام ونصح الناصحين بالإخاء والعدل والمساواة . وبيجو يُدحض ذلك أياً إدحاض ، لأنه تحدر من سلالة الذئاب فما زالت به التربية والمصانعة حتى أصبح حارس الأطفال والحملان . وقد كان قبل ذلك آفة كل طفل من بنى الإنسان وكل صغير أو كبير من أبناء الضأن .

ويعد (بيجو) بحق من أحسن الشراح للعالم الروسى العظيم (بافلوف) صاحب التجارب المشهورة فى إخوان بيجو من الكلاب الروسية . فإنه جرّب أن الكلب يسيل لعابه إذا شاهد الطعام . فقرن بين تحضير الطعام له ودق الجرس على مقربة منه . فإذا بفمه يتحلب كذلك كلما دق الجرس ولو لم تصحبه رؤية طعام فبنى على ذلك مذهبه فى مقارنات العواطف ومصاحبات الشعور وظواهره الجسدية .

وجاء علماء النفس والتربية فاستفادوا من ذلك فوائد شتى فى علاج الخوف والجشع والعادات الذميمة التى يصعب علاجها فى بعض الأطفال ، فجعلوا يقرنون الشيء المخيف بالشيء المحبوب ليعودوا الطفل أن يسكن إليه ولا يخشاه ، ويقرنون الشيء المرذول الذى يحبه الطفل بالشيء المزعج الذى يقصيه عنه وينفره من إتيانه ليقلع عن ذميم الخلال بداهة وعفواً بغير أمر ولا إلحاح .

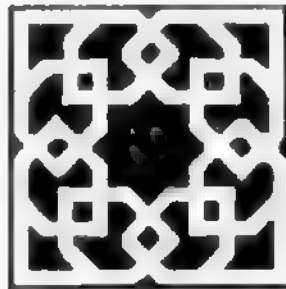
بيجو خير مفسر لهذا المذهب النافع الذى كان الفضل الأول فيه لواحد من أبناء جنسه . فقد عهدته فى منزله الأول وليس أبغض إليه من السلسلة والطوق ، لأنهم كانوا يقيدونه بهما فى حديقة الدار كلما أضجرهم بعبثه وفضوله .

فلما جاء عندى وليس للمنزل حديقة واسعة أطلقه فيها أصبحت السلسلة والطوق من أحب الأشياء إليه وأدعاهما إلى طربه وابتهاجه . . . لأنه تعود كلما ربط بالسلسلة والطوق أن يخرج مع الخادم لغشيان الطريق وقضاء ساعته المندورة للمرح والرياضة فى الخلاء .

ولبيجو فنون أخرى يشارك في تفسيرها وتفهمها وفضائل شتى
يتبرع بهداياها ومزاياها ، وإن في بعض هذا لما هو حسبنا من تقدير
للأستاذ بيجو والصديق بيجو والزائر الكريم بيجو . الذي نخشى أن
نسطو عليه ، لفرط ما نستفيد منه ونانس إليه .

* * *

والآن وقد عرف القارئ من هو (بيجو) لا أرانى بحاجة إلى
اعتذار من الحزن والوفاء لذكره . فإنه لم يخطئ في وفائه ولم
يخطئ في خلقة . ولم يخلق إنساناً فدنس الإنسانية بالغدر ،
ولكنه خلق كلباً فشرف الحيوانية بالوفاء .



بيجو

حزنًا على بيجو تفيض الدموع
حزنًا على بيجو تشور الضلوع
حزنًا عليه جهد ما أستطيع
وإن حزنًا بعد ذاك الولوع
والله - يا بيجو - لحزن وجيع

حزنًا عليه كلما لاح لى
بالليل فى ناحية المنزل
مسامرى حينًا ومستقبلى
وسابقى حينًا إلى مدخلى
كأنه يعلم وقت الرجوع

وكلما داريت إحدى التحف
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبسهت وبى من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف ...
ذلك خير من فؤاد صديع

حزنى عليه كلما عزنى
صدق ذوى الألباب والألسن
وكلما فوجئت فى مأمنى

وكلمما اطمأنتت فى مسكنى
مستغنيا . أو غانيا بالقنوع

وكلمما نادتيه ناسيا :
بيججو ! ولم أبصر به آتيا
مداعبا مبتهجا صاغيا ...
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

نسيت ؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
حسبنى ذاكرة ما حييت
لو جاءنى نسيانه ما رضيت
بيجو مَعزَى إذ ما أسيت^(١)
بيجو مناجى الأمين الوديع

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيجو الذى أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعجنى بالصياح
لو نبحة منه ، وأين النباح ؟
ضيعت فيها اليوم ما لا يضيع

خطوته .. يا برحها من ألم
يخدش بابى وهو ذاوى القدم

(١) أسيت : شعرت بالأسى .

مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بنظرة أنطق من كل فم
طول ما ينظر . ! هذا فظيع

نَمْ لا أرى النوم لعينى تطيب
أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قَطْمِيرَ هواكم عجيب (١)
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . . ولا من طلوع

نَمْ واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لا يُحَدُّ
عيناي فى ذاك وهذا الجسد
عيناي فى ذاك وهلذا الجسد
بوشحة القلب الحزين انفرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

أبكىك . أبكىك وقلّ الجـزاء
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال طعام وماء
لو صح هذا ما مَحَضْتُ الوفاء
لغائب عنك . وطفل رضيع

(١) قَطْمِير هو اسم كلب أهل الكهف .

الفهرس

الموضوع	الصفحة الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	٣	دنيا مقلوبة ٢٤
مقدمة - فى اسم الديوان	٥	الحب..... ٢٤
فى العالم		الطير المهاجر ٢٤
يا رب .. ويا خلق.....	١٥	الصدار الذى نسجته ٢٥
عباد الطغيان.....	١٥	قولى مع السلامة ٢٦
قريب قريب.....	١٦	الغيرة ٢٧
فصد.....	١٦	هبة لا تنقل ٢٧
الخلود المزدرى.....	١٦	بعض الزراية ٢٨
سوء توزيع.....	١٧	قبل السكر ٢٨
بأس الطغاة.....	١٧	لغير البيع ٢٨
الداء العالمى.....	١٧	جزاء التحدى ٢٩
قلت للمريخ.....	١٨	اعفاء ٣٠
جزاء الله.....	١٨	الحب الضاحك..... ٣٠
فى النفس		زهرة ديسمبر ٣١
هذا هو الحب.....	٢٠	من تقليد «نشيد الأناشيد» ٣١
عمر زهره.....	٢١	مزيج..... ٣٢
كوبيد يتسلل.....	٢٢	مسابقة..... ٣٣
مسرة واحدة.....	٢٤	لا تخلفى..... ٣٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أخلفى	٣٣	اللذات والويلات	٤٧
بنت البحر	٣٣	عجائب القلب	٤٨
اكذابينى	٣٣	عدنا والتقيننا	٤٨
تقويم العام	٣٤	نذر مقبول	٥٠
وعام ثان	٣٥	من الأستاذ عماد	٥١
وعام ثالث	٣٧	إلى الأستاذ عماد	٥٣
بعد سنة	٣٩	طلاء النفس	٥٥
المرأة والخداع	٤٢	بنيته	٥٥
رواية	٤٢	هنت والله	٥٧
لغيرك	٤٣	فراغ فراغ	٥٨
ماذا استفدت ؟	٤٤	فى مصر	
تربصى	٤٤	غيث الصحراء	٥٩
فهمان	٤٥	تمثال سعد	٦٢
كيف ؟	٤٦	ثناء على ماهر	٦٥
مصيبتان	٤٦	عيد الجهاد ١٩٤٠	٦٦
ندم !	٤٦	إلى مهرجان السودان	٦٨
حلم الأبد	٤٦	فى عالم الذكرى	
عيوبك	٤٧	ثلاث عشرة حجة	٦٩
مساومة	٤٧	تحية زعيم راحل	٧١

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
على قبر إبراهيم	٧٤	رأى الناس	٩٣
أه من التراب	٧٥	بين هم وسامة	٩٣
عام محمد	٧٩	الطيش والحزم	٩٤
الشهيد معاوية	٨٢	يا كتبي	٩٤
عبد القادر	٨٣	عجز أو قدرة	٩٦
هنا وهناك		جواب جميل	٩٦
تفسير حلم	٨٦	الفقير	٩٧
صوت السودان	٨٦	ويلنا	٩٧
شعر الأسود	٨٧	سيان	٩٧
القمر والظلام	٨٧	أتمنى	٩٨
صلاح الأثير	٨٨	الصرف والمزيج	٩٨
إلى المستمع العربى بلندن	٩٠	خداع النفس	٩٩
بين التعب والراحة	٩٢	كيمياء وصيرفى	٩٩
هذا هو التاريخ	٩٢	جنة الخيام	٩٩
النقد	٩٣	بيجو	١٠١
الظن	٩٣		